بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر

مكية إلا آيتى ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان وآيانها ٨٥ نزلت بعد الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حٰمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ
ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ
فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ۞ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا
وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ
عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

سورة غافر

(حم) تقدم الكلام على حروف الهجاء، وتختص حم بأن معناها: حم الأمر، أى قضى، وقال ابن عباس «الر» و «حم» و «ن» هى حروف الرحمن (تنزيل الكتاب) ذكر فى الزمر (ذى الطول) أى ذى الفضل والإنعام، وقيل الطول الغنى والسعة (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) جعل لا يغررك بمعنى لا يحزنك ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (والأحزاب) يراد بهم عاد وثمود وغيرهم (ليأخذوه) أى ليقتلوه (ليدحضوا) أى ليبطلوا به الحق (حقت كلمة ربك) أى وجب قضاؤه (ومن حوله) عطف على الذين يحملون (ويؤمنون به) إن قيل مافائدة قوله ويؤمنون به، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه، قال ذلك الزمخشرى، وقال إن فيه فائدة أخرى وهى أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذه نزعته إلى مذهب المعتزلة فى استحالة رؤية الله (وسعت كل شىء رحمة وعلماً) أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شىء، فالسعة فى المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم وإنما أسندتا إلى الله تعالى فى اللفظ لقصد المبالغة فى وصف الله تعالى بهما كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شىء (وقهم السيآت) يحتمل أن يكون المعنى قهم السيئات نفسها

وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ
مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۞ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ
لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۞ فَادْعُوا
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن

بحيث لا يفعلونها أو يكون المعنى قهم جزاء السيآت فلا تؤاخذهم بها (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) المقت البغض الذى يوجبه ذنب أوعيب وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أى مقت بعضهم بعضاً ويحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه فتناديهم الملائكة وتقول لهم مقت الله لكم فى الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم فقوله لمقت الله مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول مقتكم عليه وقوله إذ تدعون ظرف العامل فيه مقت الله عاما من طريق المعنى ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين النحو لأن مقت الله مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه و بين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله أنفسكم والابتداء بالظرف وهذا ضعيف لأن المراعى المعنى وقد جعل الزمخشرى مقت الله عاما فى الظرف ولم يعتبر الفصل (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) هذه الآية كقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فالموتة الأولى عبارة عن كونهم عدما أو كونهم فى الأصلاب أو فى الأرحام ، والموتة الثانية الموت المعروف والحياة الأولى حياة الدنيا ، والحياة الثانية حياة البعث فى القيامة وقيل الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة فى القبر، والموتة الأولى الموت المعروف، والموتة الثانية بعد حياة القبر ، وهذا قول فاسد لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجىء الحياة ثلاث مرات فإن قيل كيف اتصال قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين بما قبله فالجواب أنهم كانوا فى الدنيا يكفرون بالبعث فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك فأقروا به حينئذ ليرضوا الله بإقرارهم حينئذ فقولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعا منهم أن يخرجوا عن المقت الذى مقتهم الله إذ كانوا يدعون إلى الإسلام فيكفرون (فاعترفنا بذنوبنا) الفاء هنا رابطة معناها التسبب ، فإن قيل كيف يكون قولهم أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين سببا لاعترافهم بالذنوب ؟ فالجواب أنهم كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على البعث فاعترفوا بذنوبهم وهى إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصى فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالى بالوقوع فى المعاصى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) الباء سببية للتعليل والإشارة بذلكم يحتمل أن تكون للعذاب الذى هم فيه أو إلى مقت الله لهم أو مقتهم لأنفسهم والأحسن أن تكون إشارة إلى مايقتضيه سياق الكلام وذلك أنهم لما قالوا فهل إلى خروج من سبيل كأنهم قيل لهم لا سبيل إلى الخروج فالإشارة بقوله ذلكم إلى عدم خروجهم من النار (يريكم آياته) يعنى العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسله (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر (رفيع الدرجات) يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات فيكون بمعنى العالى أو رافع

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۖ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ
ٱلْقَهَّارِ ۝ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ
ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟
سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ
ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ

درجات عباده فى الجنة وفى الدنيا (يلقى الروح) يعنى الوحى (من أمره) يحتمل أن يريد الأمر الذى هو واحد الأمور أو الأمر بالخير فعلى الأول تكون من للتبعيض أو لابتداء الغاية وعلى الثانى تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء (يوم التلاق) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن الخلائق يلتقون فيه وقيل لأنه يلتقى فيه أهل السموات والأرض وقيل لأنه يلتقى الخلق مع ربهم ، والفاعل فى ينذر ضمير يعود على من يشاء أو على الروح أو على الله (لمن الملك اليوم) هذا من كلام الله تعالى تقرير للخلق يوم القيامة فيجيبونه ويقولون لله الواحد القهار وقيل بل هو الذى يجيب نفسه لأن الخلق يسكتون هيبة له وقيل إن القائل لمن الملك اليوم ملك (يوم الآزفة) يعنى القيامة ومعناه القريبة (إذ القلوب لدى الحناجر) معناه أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجاز عبر به عن شدة الخوف والحناجر جمع حنجرة وهى الحلق (كاظمين) أى محزونين حزنا شديدا كقوله فهو كظيم وقيل معناه يكظمون حزنهم أى يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب لأن معناه قلوب الناس أو من المفعول فى أنذرهم أو من القلوب وجمعها جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين من حميم) أى صديق مشفق (ولا شفيع يطاع) يحتمل أن يكون نفى الشفاعة وطاعة الشفيع أو نفى طاعة الشفيع خاصة ، كقولك ما جاءنى رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك رجل غير صالح ، والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم (يعلم خائنة الأعين) أى استراق النظر والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض فى أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد اليه من قوله لينذر يوم التلاق (وسلطان مبين) حجة ظاهرة وهى المعجزات (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) هذا القتل غير القتل الذى كانوا يقتلون أولا قبل ميلاد موسى (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه) المعنى أنه لا يبالى بدعاء موسى لربه ، ولا يخاف من ذلك إن قتله ، ويظهر من قوله ذرونى أنه كان فى الناس من ينازعه فى قتل موسى ، وذلك يدل على أن فرعون كان قد اضطرب أمره بظهور معجزات

أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝

موسى (أوأن يظهر فى الأرض الفساد) يعنى فسادأحوالهم فى الدنيا ، وقرئ وأن يظهر بالواو وبأو ويظهر بفتح الياء ورفع الفساد على الفاعلية وبضم الياء ونصب الفساد على المفعولية (وقال موسى إنى عذت) الآية لما سمع موسى ماهمّ به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه ، وقال من كل متكبر ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل اسم هذا الرجل حبيب وقيل حزقيل ، وقيل شمعون بالشين المعجمة ، وروى أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون ، فقوله من آل فرعون صفة للمؤمن ، وقيل كان من بنى إسرائيل ، فقوله من آل فرعون على هذا يتعلق بقوله يكتم إيمانه ، والأول أرجح لأنه لايحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ، ولقوله « فمن ينصرنا من بأس الله » لأن هذا كلام قريب شفيق ، ولأن بنى إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لايتكلم أحد منهم بمثل هذاالكلام ، و (أن يقول) فى موضع المفعول من أجله تقديره أتقتلونه من أجل أن يقول ربى الله (وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أى إن كان موسى كاذبا فى دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه ، فلاأى شىء تقتلونه ، فإن قيل : كيف قال وإن يك كاذبا بعدأن كان قد آمن به ؟ فالجواب أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير ، وقصد بذلك المحاجة لقومه ، فقسم أمر موسى إلى قسمين ، ليقيم عليهم الحجة فى ترك قتله على كل وجه من القسمين (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) قيل إن بعض هنا بمعنى كل وذلك بعيد ، وإنما قال بعض ولم يقل كل مع أن الذى يصيبهم هو كل مايعدهم ليلاطفهم فى الكلام ، ويبعد عن التعصب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، فيرتجى إجابتهم للحق (وقال الذى آمن) هو المؤمن المذكور أولا وقيل هو موسى عليه السلام وهذا بعيد ، وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولا غير صريح بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه ، إذ كان يكتم إيمانه ، والجواب : أنه كتم إيمانه أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك ، وجاهرهم مجاهرة ظاهرة ، لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه إلى قوله « فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله » (يوم التناد) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك لأن المنادى ينادى الناس ، وذلك قوله «يوم ندعو كل أناس» وقيل لأن بعضهم ينادى بعضا ، أى ينادى أهل الجنة

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ * وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ * يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ

أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا وينادى أهل النار أن أفيضوا علينا من الماء (يوم تولون مدبرين) أى منطلقين إلى النار وقيل هاربين من النار (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) قيل هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبينات التى جاء بها يوسف لم تعين لنا ، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله لأن كل من ملك مصر يقال له فرعون (فلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) كلامهم هذا لايدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف ، وإنما مرادهم لم يأت أحد يدعى الرسالة بعد يوسف ، قاله ابن عطية ، وقال الزمخشرى : إنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته (الذين يجادلون) بدل من مسرف مرتاب وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد ، لأنه فى معنى الجمع كأنه قال كل مسرف (كبر مقتا) فاعل كبر مصدر يجادلون ، وقال الزمخشرى : الفاعل ضمير من هو مسرف (الأسباب) الأسباب هنا الطرق وقيل الأبواب ، وكررها للتفخيم وللبيان (فأطلع) بالرفع عطف على أبلغ وبالنصب بإضمار أن فى جواب لعل لأن الترجى غير واجب ، فهو كالتمنى فى انتصاب جوابه ، ولا نقول إن لعل أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة (تباب) أى خسران (متاع) أى يتمتع به قليلا ، فإن قيل لم كرر المؤمن نداء قومه مرارا ؟ فالجواب : أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة والنصيحة ، فإن قيل لم جاء بالواو فى قوله ويا قوم فى الثالث دون الثانى ؟ فالجواب : أن الثانى بيان للأول وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه (ماليس لى به علم) أى ليس لى علم بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس بإله وإذا لم يكن إلها لم يصح علم ربوبيته (لاجرم) أى لابد ولا شك (ليس له دعوة) قال ابن عطية ليس له قدر ولا حق ،

أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۞ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۞ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۞ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۞ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يجب أن يدعى اليه كأنه قال أتدعونى إلى عبادة مالا خطر له فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه ليس له دعوة قائمة أى لا يدعى أحد إلى عبادته (فوقاه الله سيئات مامكروا) دليل على أن من فوض أمره إلى الله عز وجل كان الله معه (النار يعرضون عليها) النار بدل من سوء العذاب ، أو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر ، وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة ، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، واستدل أهل السنة بذلك على صحة ماورد من عذاب القبر ، وروى أن أرواحهم فى أجواف طيور سود تروح بهم وتغدو إلى النار (غدوا وعشيا) قيل معناه فى كل غدوة وعشية من أيام الدنيا وقيل المعنى على تقدير مابين الغدوة والعشية لأن الآخرة لاغدوة فيها ولا عشية (لخزنة جهنم) إن قيل هلا قال الذين فى النار لخزنتها فلم صرح باسمها ؟ فالجواب أن فى ذكر جهنم تهويلا ليس فى ذكر الضمير (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلا بقوله فادعوا أو يكون من كلام الله تعالى استئنافا (إنا لننصر رسلنا) قيل إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى ، والصحيح أنه عام ، والجواب عما ذكروه أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا برسلين وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لانصر الأنبياء كلهم (ويوم يقوم الأشهاد) يعنى يوم القيامة والأشهاد جمع شاهد أو شهيد ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة فى سبيل الله والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) يحتمل أنهم لايعتذرون أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم والأول أرجح لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فنفى الاعتذار والانتفاع به (إن وعد الله حق) يعنى وعده لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور على أعدائه الكفار (بالعشى والإبكار) قيل العشى صلاة العصر والإبكار صلاة الصبح وقيل العشى بعد العصر إلى الغروب والإبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (إن الذين يجادلون) يعنى كفار قريش (إن فى

يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ۞ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۞ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ كَذَٰلِكَ
يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ

صدورهم إلا كبر) أى تكبر وتعاظم يمنعهم من أن يتبعوك أو ينقادوا إليك وقيل كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها والأول أظهر لأن إرادتهم النبوة لأنفسهم حسد والأول هو الكبر (ماهم ببالغيه) أى لا يبلغون مايقتضيه كبرهم من الظهور عليك ومن نيل النبوة (فاستعذ بالله) أى استعذ من شرهم لأنهم أعداءلك واستعذ من مثل حالهم فى الكبر والحسد واستعذ بالله فى جميع أمورك على الإطلاق (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) الخلق هنا مصدر مضاف إلى المفعول والمراد به الاستدلال على البعث لأن الإله الذى خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها وقيل المراد توبيخ الكفار المتكبرين كأنه قال خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقرهم والأول أرجح لوروده فى مواضع من القرآن لأنه قال بعده إن الساعة لآتية لاريب فيها فقدم الدليل ثم ذكر المدلول (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء هنا هو الطلب والرغبة وهذا وعد مقيد بالمشيئة وهى موافقة القدر لمن أراد أن يستجيب له وقيل ادعونى هنا بمعنى اعبدونى بدليل قوله بعده إن الذين يستكبرون عن عبادتى وقوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم تلا الآية وأستجب لكم على هذا القول بمعنى أغفر لكم أو أعطيكم أجوركم والأول أظهر ويكون قوله ويستكبرون عن عبادتى بمعنى يستكبرون عن الرغبة إلىّ كما قال صلى الله عليه وآله وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة فمعناه أن الدعاء والرغبة إلى الله هى العبادة لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله (داخرين) أى صاغرين (لتسكنوا فيه) ذكر فى يونس (ورزقكم من الطيبات) يعنى المستلذات لأنه إذا جاء ذكر الطيبات فى معرض الإنعام فيراد به المستلذات وإذا جاء فى معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال والحرام (الحمد لله رب العالمين) هذا متصل بما قبله قال ذلك ابن عطية والزمخشرى وتقديره ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله رب العالمين ولذلك قال ابن عباس من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين ويحتمل

الْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هُوَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۞ الَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِالْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ الْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَٰفِرِينَ ۞ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۞ ادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۞ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِىَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا

أن يكون الحمد لله استئنافا (ثم يخرجكم طفلا) أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة (ثم لتبلغوا أشدكم) ذكر الأشد فى سورة يوسف عليه السلام واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما لتبلغوا أجلا مسمى فتعلق بمحذوف آخر تقديره فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة (ألم تر إلى الذين يجادلون) يعنى كفار قريش وقيل هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم وهذا مردود بقوله الذين كذبوا بالكتاب إلا إن جعلته منقطعا مما قبله وذلك بعيد (إذ الأغلال فى أعناقهم) العامل فى إذ يعلمون وجعل الظرف الماضى من الموضع المستقبل لتحقق الأمر (يسحبون فى الحميم) أى يجرون والحميم الماء الشديد الحرارة (ثم فى النار يسجرون) هذا من قولك سجرت التنور اذا ملأته بالنار، فالمعنى أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب فى التنور، ولذلك قال مجاهد فى تفسيره توقد بهم النار (تمرحون) من المرح وهو الأشر والبطر وقيل الفخر والخيلاء (فبئس مثوى المتكبرين) إن قيل قياس النظم أن يقول بئس مدخل الكافرين لأنه تقدم قبله ادخلوا. فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثوى (فإما نرينك بعض الذى نعدهم) أصل إما نرينك إن نريك ودخلت ما الزائدة بعد إن الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره إن أريناك بعض الذى نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا يرجعون، فننتقم منهم أشد الانتقام (منهم من قصصنا عليك) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول وفى حديث آخر أربعة آلاف، وفى حديث أبى ذر إن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ فذكر الله بعضهم فى القرآن، فهم الذين قص عليه، ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه (فإذا جاء أمر الله قضى بالحق) قال الزمخشرى: أمر الله القيامة، وقال ابن عطية: المعنى إذا أراد

تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۞

سورة فصلت

مكية وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ حم ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي

الله إرسال رسول قضى ذلك ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسل لقوله (وخسر هنالك المبطلون) هنالك فى الموضعين يراد به الوقت والزمان وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع ظرف الزمان (الأنعام) هى الإبل والبقر والضأن والمعز ، فقوله لتركبوا منها يعنى الإبل ومنها تأكلون يعنى اللحوم والمنافع منها اللبن والصوف وغير ذلك (ولتبلغوا عليها حاجة) يعنى قطع المسافة البعيدة وحمل الأثقال على الإبل، وتحملون يريد الركوب عليها وإنما كرره بعد قوله : لتركبوا منها لأنه أراد الركوب الأول المتعارف فى القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة ، قاله ابن عطية (ويريكم آياته) هذا عموم بعد ماقدم من الآيات المخصوصة ولذلك وبخهم بقوله فأى آيات الله تنكرون (فرحوا بما عندهم من العلم) الضمير يعود على الأمم المكذبين وفى تفسير علمهم وجوه : أحدها أنه ما كانوا يعتدون من أمرهم لا يبعثون ولا يحاسبون ، والثانى أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها ، والثالث أنه علم الفلاسفة الذين يحتقرون علوم الشرائع وقيل الضمير يعود على الرسل ، أى فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من يكذبهم وأما الضمير فى وحاق بهم فيعود على الكفار باتفاق ولذلك ترجح أن يكون الضمير فى فرحوا يعود عليهم ليتسق الكلام (سنة الله) انتصب على المصدرية والله سبحانه أعلم

سورة حم السجدة

(فصلت) أى بينت وقيل قطعت إلى سور وآيات (قرآنا عربيا) منصوب بفعل مضمر على التخصيص أو حال أو مصدر (لقوم يعلمون) معناه يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها وذلك هو العلم الذى يوجب التكليف وقيل معناه يعلمون الحق والإيمان فالأول عام وهذا خاص ، والأول أولى لقوله

ءاذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم
إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون *
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون * قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين
وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى
أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها

فاعرض أكثرهم لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين ، وقيل يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم ، وقوله لقوم يتعلق بتنزيل أو فصلت والأحسن أن يكون صفة لكتاب (فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون ولا يطيعون وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة (فى أكنة) جمع كنان وهو الغطاء ، (ومن بيننا وبينك حجاب) عبارة عن بعدهم عن الإسلام (فاعمل إننا عاملون) قيل معناه اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا فهى متاركة ، وقيل اعمل فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك ، فهو تهديد (الذين لا يؤتون الزكاة) هى زكاة المال وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس ولأنها من أركان الإسلام وقيل يعنى بالزكاة التوحيد وهذا بعيد وإنما حمله على ذلك لأن الآيات مكية ولم تفرض الزكاة إلا بالمدينة والجواب أن المراد النفقة فى طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة (أجر غير ممنون) أى غير مقطوع من قولك ، منت الحبل إذا قطعته وقيل غير منقوص وقيل غير محصور ، وقيل لا يمن عليهم به لأن المن يكدر الإحسان (أندادا) أى أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها (رواسى) يعنى الجبال (وبارك فيها) أكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أى أرزاق أهلها ومعاشهم وقيل يعنى أقوات الأرض من المعادن وغيرها من الأشياء التى بها قوام الأرض والأول أظهر (فى أربعة أيام) يريد أن الأربعة كملت باليومين الأولين فخلق الأرض فى يومين وجعل فيها ما ذكر فى يومين ، فتلك أربعة أيام وخلق السموات فى يومين فتلك ستة أيام حسبما ذكر فى مواضع كثيرة ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر فى المواضع الكثيرة (سواء) بالنصب مصدر تقديره استوت استواء قاله الزمخشرى ، وقال ابن عطية انتصب على الحال (للسائلين) قيل معناه لمن سأل عن أمرها وقيل معناه للطالبين لها ، ويعنى بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها ، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على القول الأول تقديره يبين ذلك لمن سأل عنه ويتعلق بقدر على القول الثانى (ثم استوى إلى السماء) أى قصد إليها ، ويقتضى هذا الترتيب : أن الأرض خلقت قبل السماء ، فإن قيل كيف الجمع بين ذلك وبين قوله « والأرض بعد ذلك دحاها » فالجواب أنها خلقت قبل السماء ، ثم دحيت بعد ذلك (وهى دخان) روى أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء فأيبس الماء فصار أرضا ، ثم خلق السموات من الدخان المرتفع (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) هذه عبارة عن لزوم طاعتهما كما يقول الملك لمن تحت يده افعل كذا شئت أو أبيت أى لا بد لك من فعله ، وقيل تقديره ائتيا طوعا وإلا أتيتما كرها ومعنى هذا الإتيان تصويرهما على الكيفية التى أرادها الله وقوله لهما ائتيا مجاز وهو عبارة عن تكوينه

قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ

لها وكذلك قولها أتينا طائعين عبارة عن أنهما لم يمتنعا عليه حين أراد تكوينهما وقيل بل ذلك حقيقة وأنطق الله الأرض والسماء بقولها أتينا طائعين وإنما جمع طائعين جمع العقلاء لوصفهما بأوصاف العقلاء (فقضاهن سبع سموات) أى صنعهن، والضمير للسموات السبع، وانتصابها على التمييز تفسيرا للضمير وأعاد عليها ضمير الجماعة المؤنثة لأنها لا تعقل فهو كقولك الجذوع انكسرت وجمعها جمع المفكر العاقل فى قوله طائعين لأنه وصفهما بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملهما معاملتهم فهو كقولك رأيتهم لى ساجدين وأعاد ضمير التثنية فى قوله قالتا أتينا لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى (وأوحى فى كل سماء أمرها) أى أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ما شاء من الأمور التى بها قوامها وصلاحها وأضاف الأمر إليها لأنه فيها (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) يعنى الشمس والقمر والنجوم وهى زينة للسماء الدنيا سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات (وحفظا) تقديره وحفظناها حفظا ويجوز أن يكون مفعولا من أجله على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) الضمير لقريش (صاعقة) يعنى واقعة واحدة شديدة وهى مستعارة من صاعقة النار وقرئ صعقة بإسكان العين وهى الواقعة من قولك صعق الرجل (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) معنى ما بين الأيدى المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرسل جاؤهم فى الزمان المتقدم واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك من بين أيديهم ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك من خلفهم قاله ابن عطية وقال الزمخشرى معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم فى التبليغ إليهم وقيل أخبروهم بما أصاب من قبلهم فذلك ما بين أيديهم وأنذروهم ما يجرى عليهم فى الزمان المستقبل وفى الآخرة فذلك من خلفهم (أن لا تعبدوا إلا الله) أن حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا إلا الله (فإنا بما أرسلتم به كافرون) ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم وفيه تهكم (ريحا صرصرا) قيل إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه باردة وقيل إنه من قولك صرصر إذا صوت فمعناه لها صوت هائل (فى أيام نحسات) معناه من النحس وهو ضد السعد وقيل شديدة البرد وقيل متتابعة والأول أرجح، وروى أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وقرئ نحسات بإسكان الحاء وكسرها فأما الكسر فهو جمع نحس وهو صفة وأما الإسكان فتخفيف من الكسر على وزن فعل أو وصف بالمصدر (وأما ثمود فهديناهم) أى بينا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد (فهم يوزعون) أى يدفعون بعنف

فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ ۞ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ
وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن
ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞
فَإِن يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ۞
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۞ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا
بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا

(وجلودهم) يعنى الجلود المعروفة وقيل هو كناية عن الفروج والأول أظهر (وما كنتم تستترون) الآيات يحتمل أن تكون من كلام الجلود أو من كلام الله تعالى أو الملائكة ، وفى معناه وجهان : أحدهما لم تقدروا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم ، والآخر لم تتحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، لأنكم لم تبالوا بشهادتها ولم تظنوا أنها تشهد عليكم ، وإنما استترتم لأنكم ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ، وهذا أرجح لاتساق مابعده معه ولما جاء فى الحديث الصحيح عن ابن مسعود : أنه قال اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفى قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم ، فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ماقلنا ، فقال : الآخر إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا فقال الآخر : إن كان يسمع منا شيئاً فإنه يسمعه كله فنزلت الآية (أرداكم) أى أهلككم من الردى بمعنى الهلاك (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) هو من العتب بمعنى الرضا أى إن طلبوا العتبى ليس فيهم من يعطاها (وقيضنا لهم قرناء) أى يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس (فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم) مابين أيديهم ماتقدم من أعمالهم ، وما خلفهم ماهم عازمون عليه أو مابين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة ، والتكذيب بها (وحق عليهم القول) أى سبق عليهم القضاء بعذابهم (فى أمم) أى فى جملة أمم ، وقيل فى بمعنى مع (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) روى أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله (والغوا فيه) المعنى لا تسمعوا إليه ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد ، وقيل معناه قعوا فيه وعيبوه (أرنا اللذين أضلانا) يقولون هذا إذا دخلوا جهنم ، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضى ، لتحققه ، ومعنى اللذين أضلانا : كل من أغوانا

لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي

من الجن والإنس ، وقيل المراد ولد آدم الذى سن القتل وإبليس الذى أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصى وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر (تحت أقدامنا) أى فى أسفل طبقة من النار (ثم استقاموا) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، استقاموا على قولهم: ربنا الله ، فصح إيمانهم ودام توحيدهم وقال عمر بن الخطاب المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصى وقول عمر أكمل وأحوط وقول أبى بكر أرجح لما روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال قد قالها قوم ثم كفروا فمن مات عليها فهو ممن استقام ، وقال بعض الصوفية : معنى استقاموا أعرضوا عما سوى الله وهذه حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيه (تتنزل عليهم الملائكة) يعنى عند الموت (ولكم فيها) الضمير الآخرة (ماتدعون) أى ماتطالبون (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى لا أحد أحسن أقولا منه ويدخل فى ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم ، وقيل : المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية ، وإنما شرع الأذان بالمدينة ولكن المؤذنون يدخلون فى العموم (وما يلقاها) الضمير يعود على الخلق الجميل الذى يتضمنه قوله ادفع بالتى هى أحسن (ذو حظ عظيم) أى حظ من العقل والفضل وقيل حظ عظيم فى الجنة (وإما ينزغنك) إن شرطية دخلت عليها ما الزائدة ونزغ الشيطان وساوسه وأمره بالسوء (الذى خلقهن) الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر ، لأن جماعة مالا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة ، وقيل إنما يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد ، (الذين عند ربك) الملائكة (لا يسئمون) أى لا يملون (الأرض خاشعة) عبارة عن قلة النبات (اهتزت) ذكر فى الحج (إن الذى أحياها لمحيى الموتى) تمثيل واحتجاج على صحة البعث (إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يطعنون عليها وهذا الإلحاد هو بالتكذيب وقيل باللغو فيه حسبما تقدم فى السورة (أفمن يلقى فى النار)

النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ

الآية : قيل إن المراد بالذى يلقى فى النار أبو جهل وبالذى يأتى آمناً عثمان بن عفان وقيل عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك (اعملوا ماشئتم) تهديد لا إباحة (إن الذين كفروا بالذكر) الذكر هنا القرآن باتفاق وخبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا ، وقيل خبرها أولئك ينادون من مكان بعيد ، وذلك بعيد (وإنه لكتاب عزيز) أى كريم على الله ، وقيل منيع من الشيطان (لا يأتيه الباطل) أى ليس فيما تقدمه مايبطله ولا يأتى بعده ما يبطله والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك) فى معناه قولان : أحدهما مايقول الله لك من الوحى والشرائع ، إلا مثل ماقال للرسل من قبلك ، والآخر مايقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ماقالت الأمم المتقدمون لرسلهم فالمراد على هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بالتأسى ، والمراد على القول الأول أنه عليه الصلاة والسلام أتى بما جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته (إن ربك لذو مغفرة) يحتمل أن يكون مستأنفاً ، أو يكون هو المقول فى الآية المتقدمة وذلك على القول الأول ، وأما على القول الثانى فهو مستأنف منقطع مماقبله ، (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته) الأعجمى الذى لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم والعجمى الذى ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح ، ونزلت الآية بسبب طعن قريش فى القرآن ، فالمعنى أنه لو كان أعجمياً لطعنوا فيه وقالوا هلا كان مبيناً فظهر أنهم يطعنون فيه على أى وجه كان (ءأعجمى وعربى) هذا من تمام كلامهم والهمزة للإنكار ، والمعنى : أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمى ورسول عربى ، أو مرسل إليه عربى ، وقيل إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية ، كسجين وإستبرق فقالوا قرآن أعجمى وعربى ، أى مخلط من كلام العرب والعجم ، وهذا يجرى على قراءة أعجمى بفتح العين (فى آذانهم وقر) عبارة عن إعراضهم عن القرآن فكأنهم صم لا يسمعون وكذلك (وهو عليهم عمى) عبارة عن قلة فهمهم له (أولئك ينادون من مكان بعيد) فيه قولان : أحدهما عبارة عن قلة فهمهم فشبههم بمن ينادى من مكان بعيد فهو لا يسمع الصوت ولا يفقه مايقال ، والثانى أنه حقيقة فى يوم القيامة ، أى ينادون من مكان بعيد ليسمعوا أهل الموقف توبيخهم ، والأول أليق بالكنايات التى قبلها (كلمة سبقت من ربك)

يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ۝ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۝

يعنى القدر (إليه يرد علم الساعة) أى علم زمان وقوعها ، فإذا سئل أحد عن ذلك قال : الله هو الذى يعلمها (من أكمامها) جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها (ويوم يناديهم أين شركائى) العامل فى يوم محذوف والمراد به يوم القيامة ، والضمير للمشركين وقوله أين شركائى توبيخ لهم ، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين ، كأنه قال الشركاء الذين جعلتم لى (قالوا آذناك مامنا من شهيد) المعنى : أنهم قالوا أعلمناك مامنا من يشهد اليوم بأن لك شريكا لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لا يروهم حينئذ فما على هذا موصولة أوضل عنهم قولهم الذى كانوا يقولون من الشرك ، فما على هذا مصدرية (وظنوا مالهم من محيص) الظن هنا بمعنى اليقين ، والمحيص المهرب : أى علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب وقيل يوقف على ظنوا ، ويكون مالهم : استئنافا ، وذلك ضعيف (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) أى لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك ، ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وقيل فى غيره من الكفار واللفظ أعم من ذلك (ليقولن هذا لى) أى هذا حقى الواجب لى ، وليس تفضلا من الله ولا يقول هذا إلا كافر ، ويدل على ذلك قوله (وما أظن الساعة قائمة) وقوله (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) معناه إن بعثت تكون لى الجنة وهذا تخرص وتكبر ، وروى أن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة (ونأى بجانبه) ذكر فى الإسراء (دعاء عريض) أى كثير ، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذم لها (قل أرأيتم إن كان من عند الله) الآية معناها أخبرونى إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به ألستم فى شقاق بعيد فوضع قوله من أضل موضع الخطاب لهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) الضمير لقريش وفيها ثلاثة أقوال : أحدها أن الآيات فى الآفاق هى فتح الأقطار للمسلمين والآيات فى أنفسهم هى فتح مكة فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور ، وتهديدا للكفار ، واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل ، والثانى أن الآيات فى الآفاق هى ما أصاب الأمم المتقدمة من الهلاك وفى أنفسهم يوم بدر . الثالث أن الآيات فى الآفاق : هى خلق السماء وما فيها من العبر والآيات ، وفى أنفسهم خلقة بنى آدم وهذا ضعيف لأنه قال سنريهم بسين الاستقبال ، وقد كانت السموات وخلقة بنى آدم مرئية والأول هو الراجح (إنه لحق) الضمير للقرآن أو للإسلام (محيط) أى محيط بعلمه وقدرته وسلطانه

سورة الشورى

مكية إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية وآياتها ٥٣ نزلت بعد فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * عسق * كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ

سورة الشورى

(حم عسق) الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبما تقدم فى سورة البقرة ، وقد حكى الطبرى أن رجلا سأل ابن عباس عن حم عسق فأعرض عنه ، فقال حذيفة إنما كرهها ابن عباس لأنها نزلت فى رجل من أهل بيته اسمه عبد الله يبنى مدينة على نهر من أنهار المشرق ثم يخسف الله بها فى آخر الزمان ، والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد وقد ورد فى الحديث الصحيح أنها يخسف بها (كذلك يوحى إليك) الكاف نعت لمصدر محذوف والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة ، وقيل الإشارة لقوله حم عسق فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها فى كل كتاب أنزله ، وفى صحة هذا نظر (الله العزيز الحكيم) اسم الله فاعل بيوحى ، وأما على قراءة يوحى بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الذى أوحى فقيل الله (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله ، وقيل من قول الكفار اتخذ الله ولدا ، فهى كالآية التى فى مريم قال ابن عطية : وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه : مردود لأن الله تعالى لا يوصف به (من فوقهن) الضمير للسموات والمعنى يتشققن من أعلاهن ، وذلك مبالغة فى التهويل ، وقيل الضمير للأرضين وهذا بعيد ، وقيل الضمير للكفار كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التى من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن ، وهذا أيضا بعيد (ويستغفرون لمن فى الأرض) عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض ، فهى كقوله ويستغفرون للذين آمنوا . وقيل إن يستغفرون الذين آمنوا نسخ هذه الآية ، وهذا باطل ، لأن النسخ لا يدخل فى الأخبار ، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم ، ومعناه الإمهال ، لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما ، فإن قيل : ما وجه اتصال قوله والملائكة يسبحون الآية : بما قبلها ؟ فالجواب أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام ، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بنى آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بنى آدم وعن أقوالهم القبيحة (أم القرى) هى مكة ، والمراد أهلها ، ولذلك عطف عليه من حولها يعنى من الناس (يوم الجمع) يعنى يوم القيامة

هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ
أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي
إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝ فَلِذَٰلِكَ

وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه (أم اتخذوا) أم منقطعة، والأولياء هنا المعبودون من دون الله (فحكمه إلى الله) أى ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كقوله فردوه إلى الله والرسول (من أنفسكم أزواجا) يعنى الإناث (ومن الأنعام أزواجا) يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف (يذرؤكم فيه) معنى يذرؤكم يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، وقيل يكثركم، والضمير المجرور يعود على الجعل الذى يتضمنه قوله جعل لكم، وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه، وقيل الضمير للتزويج الذى دل عليه قوله أزواجا، وقال الزمخشرى تقديره يذرؤكم فى هذا التدبير، وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا، والضمير فى يذرؤكم خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم، فإن قيل: لم قال يذرؤكم فيه وهلا قال يذرؤكم به؟ فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشرى (ليس كمثله شىء) تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، قال كثير من الناس الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى ليس مثله شىء، وقال الطبرى وغيره ليست بزائدة، ولكن وضع مثله موضع هو، والمعنى ليس كهو شىء قال الزمخشرى: وهذا كما تقول مثلك لا يبخل، والمراد أنت لا تبخل، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته (مقاليد) قد ذكر (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) اتفق دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع جميع الأنبياء فى أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسره بقوله أن أقيموا الدين يعنى إقامة الإسلام الذى هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست ترادهنا (أن أقيموا) يحتمل أن تكون أن فى موضع نصب بدلا من قوله ما وصى أو فى موضع خفض بدلا من به أو فى موضع رفع على خبر ابتداء مضمر أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أى صعب الإسلام على المشركين (الله يجتبى إليه من يشاء) الضمير فى إليه يعود على الله تعالى وقيل على الدين (وما تفرقوا) يعنى أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم (ولولا كلمة) يعنى القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم فى الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب) يعنى المعاصرين لسيدنا

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ۖ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۞ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ۖ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ ۖ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا ۖ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۖ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۞ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ

محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى ، وقيل يعني العرب ، والكتاب على هذا القرآن (في شك منه) الضمير للكتاب ، أو للدين أو لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فلذلك فادع) أي إلى ذلك الذي شرع الله فادع الناس فاللام بمعنى إلى والإشارة بذلك إلى قوله شرع لكم من الدين أو إلى قوله توصوهم إليه قيل إن اللام بمعنى أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف أي لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله على هذا يكون قوله واستقم معطوفا وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على فادع استقم (كما أمرت) أي دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته (ولا تتبع أهواءهم) الضمير للكفار وأهواؤهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله (وأمرت لأعدل بينكم) قيل يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه ، ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام أي أمرت أن أحملكم على الحق (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا جدال ولا مناظرة ، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون (والذين يحاجون في الله) أي يجادلون المؤمنين في دين الإسلام ، ويعني كفار قريش ، وقيل اليهود (من بعد ما استجيب له) الضمير يعود على الله أي من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه ، وقيل يعود على الدين وقيل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر وأحسن (حجتهم داحضة) أي زاهقة باطلة (أنزل الكتاب) يعني جنس الكتاب (بالحق) أي بالواجب أو متضمنا الحق (والميزان) قال ابن عباس وغيره يعني العدل ، ومعنى إنزال العدل ، إنزال الأمر به في الكتب المنزلة ، وقيل يعني الميزان المعروف ، فإن قيل : ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب ، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم (لعل الساعة قريب) جاء قريب ، بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ، ولأن المراد به وقت الساعة (يستعجل بها) أي يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزا للمؤمنين (يمارون) أي يجادلون ويخالفون (يرزق من يشاء) يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها : أي ما تقوم به الحياة ، فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره والزائد خاص بمن شاء الله (حرث الآخرة) عبارة عن العمل لها وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث الأرض لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل (نزد له في حرثه) عبارة عن تضعيف الثواب (نؤته منها) أي نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ
بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَالِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ *
ذَالِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ
وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ
يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ

له (وماله فى الآخرة من نصيب) هذا للكفار ، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة ، ولا رغبة له فى الآخرة (أم لهم شركاء) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ ، والشركاء الأصنام وغيرها ، وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) الضمير فى شرعوا للشركاء ، وفى لهم للكفار ، وقيل بالعكس والأول أظهر ولم يأذن بمعنى لم يأمر ، والمراد بما شرعوا من البواطل فى الاعتقادات وفى الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك (ولولا كلمة الفصل) أى لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم فى الدنيا لقضى بينهم فيها (ترى الظالمين مشفقين) يعنى فى الآخرة (ذلك الذى يبشر الله عباده) تقديره يبشر به وحذف الجار والمجرور (إلا المودة فى القربى) فيه أربعة أقوال : الأول أن القربى بمعنى القرابة ، وفى بمعنى من أجل ، والمعنى لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودونى لأجل القرابة التى بينى وبينكم فالمقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم قرابة : الثانى أن القربى بمعنى الأقارب ، أو ذوى القربى والمعنى إلا أن تودوا أقاربى وتحفظونى فيهم ، والمقصد على هذا وصية بأهل البيت : الثالث أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض ، والمعنى أن تودوا أقاربكم ، والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام : الرابع أن القربى التقرب إلى الله ، والمعنى إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته ، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع ، وأما على الأول والثانى فيحتمل الانقطاع لأن المودة ليست بأجر ، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فجعل المودة كالأجر (يقترف) أى يكتسب (نزد له فيها حسنا) يعنى مضاعفة الثواب (أم يقولون) أم منقطعة للإنكار والتوبيخ (فإن يشأ الله يختم على قلبك) فالمقصد بهذا قولان : أحدهما أنه رد على الكفار فى قولهم أفترى على الله كذباً : أى لو افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك ، والآخر أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم (ويمح الله الباطل) هذا فعل مستأنف غير معطوف على ماقبله لأن الذى قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ماقبله ويبدأ به ، وفى المراد به وجهان أحدهما أنه من تمام ماقبله : أى لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذى كنت تفتريه لو افتريت ، والآخر أنه وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر ويحق الحق وهو الإسلام (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) عن هنا بمعنى من ، وكأنه قال التوبة الصادرة من عباده وقبول

وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ۞ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۞ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۞ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۞ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ

التوبة على ثلاثة أوجه : أحدها التوبة من الكفر فهى مقبولة قطعا والثانى التوبة من مظالم العباد فهى غير مقبولة حتى ترد المظالم أو يستحل منها والثالث التوبة من المعاصى التى بين العبد وبين الله فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية وقيل إنها فى المشيئة (ويعفو عن السيئات) العفو مع التوبة على حسب ماذكرنا وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام الأول العفو عن الكفر وهو لا يكون أصلا والثانى العفو عن مظالم العباد وهو كذلك والثالث العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق الرابع العفو عن الكبائر فمذهب أهل السنة فى المشيئة ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة (ويستجيب الذين آمنوا) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معنى يستجيب يجيب والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أى يجيبهم فيما يطلبون منه وقال الزمخشرى أى أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام والثانى أن معناه يجيب والذين آمنوا فاعل أى يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه والثالث أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب والأول أرجح لدلالة قوله ويزيدهم من فضله ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل (ويزيدهم من فضله) أى يزيدهم مالا يطلبون زيادة على الاستجابة فيما طلبوا وهذه الزيادة روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنها الشفاعة والرضوان (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) أى بغى بعضهم على بعض وطغوا لأن الغنى يوجب الطغيان وقال بعض الصحابة فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) قيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اشتدى أزمة تنفرجى (وينشر رحمته) قيل يعنى المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر وقيل يعنى الشمس وقيل بالعموم (ومابث فيهما من دابة) لا إشكال لأن الدواب فى الأرض وأما فى السماء فقيل يعنى الملائكة وقيل يمكن أن تكون فى السماء دواب لا نعلمها نحن وقيل المعنى أنه بث فى أحدهما فذكر الاثنين كما تقول فى بنى فلان كذا وإنما هو فى بعضهم (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) يريد جمع الخلق فى الحشر يوم القيامة (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المعنى أن المصائب التى تصيب الناس فى أنفسهم وأموالهم إنما هى بسبب الذنوب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفوا الله عنه أكثر وقرئ بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذى وقرئ بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطا (بمعجزين) قد ذكر (الجوارى) جمع جارية وهى السفينة (كالأعلام)

فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ * فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ

جمع علم وهو الجبل (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) الضمير فى يظللن للجوارى وفى ظهره للبحر، أى لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر فالمقصود تعديد النعمة فى إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن الريح، ومعنى يوبقهن يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة والضمير فيه للسفن، وفى كسبوا لركابها من الناس والمعنى أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) أى يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله وقرئ يعلم بالرفع على الاستئناف، وبالنصب واختلف فى إعرابه على قولين: أحدهما أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب وأنكر ذلك الزمخشرى وقال إنه شاذ فلا ينبغى أن يحمل القرآن عليه، والثانى قول الزمخشرى إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره، لينتقم منهم ويعلم، قال ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف فى القرآن كثير، ومنه قوله ولنجعله آية للناس (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء وقيل كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هى الزنا واللفظ أعم من ذلك (والذين استجابوا لربهم) قيل يعنى الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام، ويظهر لى أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، لأنه بدأ أولا بصفات أبى بكر الصديق، ثم صفات عمر بن الخطاب ثم صفات عثمان بن عفان ثم صفات على بن أبى طالب، فكونه جمع هذه الصفات ورتبها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك فأما صفات أبى بكر فقوله: الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، وإنما جعلناها صفة أبى بكر وإن كان جميعهم متصفا بها لأن أبا بكر كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان الأمة لرجحهم وقال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها وقال أبو بكر لو كشف الغطاء لما ازددت إلا يقينا والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان. أما صفات عمر فقوله: والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لأن ذلك هو التقوى، وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا مدينة التقوى وعمر بابها وقوله وإذا ما غضبوا هم يغفرون، وقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله نزلت فى عمر، وأما صفات عثمان فقوله: والذين استجابوا لربهم لأن عثمان لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان تبعه وبادر إلى الإسلام وقوله وأقاموا الصلاة، لأن عثمان كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية: وروى أنه كان يحيى الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله وأمرهم شورى بينهم لأن عثمان ولى الخلافة بالشورى، وقوله ومما رزقناهم ينفقون، لأن عثمان كان كثير النفقة فى سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة، وأما صفة علىّ فقوله والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون، لأنه لما

هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ

قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا للحق ، وانظر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقاتلين لعلى الفئة الباغية حسبما ورد فى الحديث الصحيح أنه قال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فذلك هو البغى الذى أصابه وقوله « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » إشارة إلى فعل الحسن بن علىّ حين بايع معاوية ، وأسقط حق نفسه ليصلح أحوال المسلمين ، ويحقن دماءهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فى الحسن إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه ، فأولئك ماعليهم من سبيل إشارة إلى انتصار الحسين بعد موت الحسن ، وطلبه للخلافة وانتصاره من بنى أمية ، وقوله « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس » إشارة إلى بنى أمية ، فإنهم استطالوا على الناس كما جاء فى الحديث عنهم ، أنهم جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون على بن أبى طالب على منابرهم ، وقوله « ولمن صبر وغفر » الآية إشارة إلى صبر أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ماناالهم من الضر والذل ، طول مدة بنى أمية (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمى العقوبة باسم الذنب وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار ، لأنه ضمن الأجر فى العفو ، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة فى قوله « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل » وقيل إن الانتصار أفضل ، والأول أصح فإن قيل كيف ذكر الانتصار فى صفات المدح فى قوله « والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون » والمباح لامدح فيه ولاذم ، فالجواب : من ثلاثة أوجه أحدها أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل ، والثانى أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا ممن بدأ بالظلم فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم ، والثالث إن كانت الإشارة بذلك إلى على بن أبى طالب حسبما ذكرنا فانتصاره محمود ، لأن قتال أهل البغى واجب لقوله تعالى « فقاتلوا التى تبغى » (يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) عبارة عن الذل والكآبة ، ومن الذل يتعلق بخاشعين (ينظرون من طرف خفى) فيه قولان : أحدهما أنه عبارة عن الذل ، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة والآخر أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم ، وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشرى : والظرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا (يوم القيامة) يتعلق بقال أو بخسروا (ألا إن الظالمين) يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى (لامرد له)

اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ۞ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ۞ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۞

ذكر فى الروم (من نكير) أى إنكار يعنى لاتنكرون أعمالكم (يهب لمن يشاء إناثا) قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له . قال واثلة بن الأسقع من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر ، لأن الله بدأ بالإناث وقال بعضهم : نزلت هذه الآية فى الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيما والظاهر أنها على العموم فى جميع الناس ، إذ كل واحد منهم لايخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التى ذكر وفى الآية من أدوات البيان التقسيم (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) الآية : بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحى المذكور أولا وهو الذى يكون بإلهام أو منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحى بواسطة الملك وهو قوله أو يرسل رسولا يعنى ملكا فيوحى بإذنه مايشاء إلى النبى وهذا خاص بالأنبياء والثانى خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا وقد يكون لسائر الخلق ومنه وأوحى ربك إلى النحل ومنه منامات الناس (أو يرسل رسولا) قرئ يرسل ، ويوحى بالرفع على تقدير أو هو يرسل وبالنصب عطفا على وحيا لأن تقديره أن يوحى عطف على أن المقدرة (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الروح هنا القرآن والمعنى مثل هذا الوحى وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن والأمر هنا يحتمل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشىء (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) المقصد بهذا شيئان أحدهما تعداد النعمة عليه صلى الله عليه وسلم بأن علمه الله مالم يكن يعلم والآخر احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد ، فإن قيل أما كونه لم يكن يدرى الكتاب فلا إشكال فيه وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم . فالجواب أن الإيمان يحتوى على معارف كثيرة وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك فالإيمان هنا يعنى به كمال المعرفة وهى التى حصلت له بالنبوة (ولكن جعلناه نورا) الضمير للقرآن

سورة الزخرف

مكية إلا آية ٥٤ فمدنية وآياتها ٨٩ نزلت بعد الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ حم ۞ والكتاب المبين * إنا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ۞ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ۞ أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين ۞ وكم أرسلنا من نبى فى الأولين ۞ وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزءون ۞ فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ۞ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۞ الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ۞ والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ۞ والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ۞ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة

سورة الزخرف

(والكتاب المبين) يعنى القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين ، أو المبين لغيره (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) أم الكتاب ، اللوح المحفوظ والمعنى أن القرآن وصف فى اللوح بأنه على حكيم ، وقيل المعنى أن القرآن نسخ بجملته فى اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله فوصفه الله بأنه على حكيم لكونه مكتوب فى اللوح المحفوظ والأول أظهر وأشهر (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) الهمزة للإنكار والمعنى أنمسك عنكم الذكر ونضرب من قولك أضربت عن كذا إذا تركته والذكر يراد به القرآن أو التذكير والوعظ وصفحا فيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى الإعراض ، تقول صفحت عنه إذا أعرضت عنه فكأنه قال أنترك تذكيركم إعراضا عنكم وإعراب صفحا على هذا مصدر من المعنى أو مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال والآخر أن يكون بمعنى العفو والغفران ، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوا عنكم وغفرانا لذنوبكم وإعراب صفحا على هذا مفعول من أجله أو مصدر فى موضع الحال (أن كنتم قوما مسرفين) قرئ بكسر الهمزة على الشرط والجواب فى الكلام الذى قبله وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله (أشد منهم بطشا) الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله أن كنتم قوما مسرفين ، فإن قيل كيف قال إن كنتم على الشرط بحرف إن التى معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين ، فالجواب أن فى ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم فى ارتكابه فكأنه شىء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع فى موضع الواقع (ومضى مثل الأولين) أى تقدم فى القرآن ذكر حال الأولين وكيفية إهلاكهم لما كفروا (ولئن سألتهم) الآية احتجاج على قريش لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره ، ومقتضى جوابهم أن يقولوا خلقهن الله ، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضى أن يعترفوا بأنه عزيز عليم ، وأما قوله الذى جعل لكم فهو من كلام الله لا من كلامهم (مهادا) أى فراشا على وجه التشبيه (سبلا) أى طرقا تمشون فيها (ماء بقدر) أى بمقدار ووزن معلوم وقيل معناه بقضاء (كذلك تخرجون) تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض (الأزواج كلها)

رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۞ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۞ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ۞ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ۞ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۞ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۞

يعنى أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك (لتستووا على ظهوره) الضمير يعود على ماتركبون (ثم تذكروا نعمة ربكم) يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة فى تسخير هذا المركوب أو النعمة على الاطلاق، وكان بعض السلف اذا ركب دابة يقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام، ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أى مطيقين وغالبين (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) اعتراف بالحشر فإن قيل مامناسبة هذا للركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعدا للموت الذى قد يعرض له وقيل يذكر عند الركوب ركوب الجنازة، (وجعلوا له من عباده جزءا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب، وفى له لله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله ولئن سألتهم الآية والمعنى أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءا من عباده نصيباً له وحظا دون سائر عباده وقال الزمخشرى معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءا منه وقال بعض اللغويين الجزء فى اللغة الإناث واستشهد على ذلك ببيت شعر قال الزمخشرى وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ومعنى أصفاكم خصكم أى كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى أصفاكم بالبنين وهم أعلا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أى إذا بشر بالأنثى وقد ذكر هذا المعنى فى النحل والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى عن قولهم (أومن ينشؤا فى الحلية) المراد بمن ينشأ فى الحلية النساء والحلية هى الحلى من الذهب والفضة وشبه ذلك ومعنى ينشأ فيها يكبر وينبت فى استعمالها وقرئ ينشأ بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها والمقصد الرد على الذين قالوا الملائكة بنات الله كأنه قال أجعلتم لله من ينشأ فى الحلية وذلك صفة النقص ثم أتبعها بصفة نقص أخرى وهى قوله وهو فى الخصام غير مبين يعنى أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها وقل ماتجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعانى فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص وإعراب ينشأ مفعول بفعل مضمر تقديره أجعلتم لله من ينشأ أومبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ فى الحلية خصصتم به الله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة أحدها أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وقرئ عند الرحمن بالنون، والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله والذين عندربك، وقرئ عباد بالباء جمع عبد والمراد به أيضا الاختصاص والتشريف (أشهدوا خلقهم) هذا رد على العرب فى قولهم إن الملائكة إناثا، والمعنى هم لم يشهدوا خلق الملائكة، فكيف يقولون ماليس لهم به علم؟ (ستكتب شهادتهم ويسئلون) أى تكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة، ويسئلون عنها يوم القيامة

وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ

(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الضمير فى قالوا للكفار، وفى عبدناهم للملائكة، وقال ابن عطية للأصنام والأول أظهر وأشهر، والمعنى احتجاج احتج به الذين عبدوا الملائكة، وذلك أنهم قالوا لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا وينعم علينا: دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم رد الله عليهم بقوله (مالهم بذلك من علم) يعنى أن قولهم بلا دليل وحجة، وإنما هو تخرص منهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن، وهذا أيضا رد عليهم لكونهم ليس لهم كتاب يحتجون به (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وطريقة، والمعنى أنهم ليس لهم حجة، وإنما هم مقلدو آبائهم (وكذلك ما أرسلنا من قبلك) الآية المعنى كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة بل بطريق التقليد المذموم (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى قل لهم أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذى وجدتم عليه آباءكم، وقرئ قال أو لو جئتكم، والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم، وأما قراءة قل بالأمر فهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يقول ذلك لقريش وقيل هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين، فإن قوله قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون: حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله فانتقمنا منهم: يعنى من المتقدمين (إننى براء) أى برىء وبراء فى الأصل مصدر ثم استعمل صفة، ولذلك استوى فيه الواحد والجماعة كعدل وشبهه (إلا الذى فطرنى) يحتمل أن يكون استثناء منقطعا، وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلا إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل مما تعبدون فهو فى موضع خفض أو منصوب على الاستثناء فهو فى موضع نصب (سيهدين) قال هنا سيهدين، وقال مرة أخرى فهو يهدين، ليدل على أن الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها كلمة باقية فى عقبه) ضمير الفاعل فى جعلها يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل على الله تعالى، والأول أظهر، والضمير يعود على الكلمة التى قالها وهى إننى براء مما تعبدون، ومعناها التوحيد، ولذلك قيل يعود على الإسلام لقوله هو سماكم المسلمين من قبل، وقيل يعود على لا إله إلا الله، والمعنى متقارب: أى جعل إبراهيم تلك الكلمة ثابتة فى ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلا أبدا (بل متعت هؤلاء وآباءهم) الإشارة بهؤلاء إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله، لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام

مُّبِينٌ ۞ وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَٰفِرُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۞ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۞ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞

فالمعنى لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم ، بل متعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) الضمير فى قالوا لقريش ، والقريتان مكة والطائف ، ومن القريتين معناها من إحدى القريتين كقولك يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان : أى من أحدهما ، وقيل معناه على رجل من رجلين من القريتين ، فالرجل الذى من مكة الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة بن ربيعة ، والرجل الذى من الطائف عروة بن مسعود ، وقيل حبيب بن عمير ، ومعنى الآية أن قريشا استبعدوا نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء ، وصفوه بالعظمة يريدون الرئاسة فى قومه وكثرة ماله ، فردّ الله عليهم بقوله (أهم يقسمون رحمت ربك) يعنى أن الله يخص بالنبوة من يشاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته ، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ، ولا بإرادتهم ، ثم أوضح ذلك بقوله (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى كما قسمنا المعايش فى الدنيا كذلك قسمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة ، فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وهو من التسخير فى الخدمة : أى رفعنا بعضهم فوق بعض ليخدم بعضهم بعضا (ورحمت ربك خير مما يجمعون) هذا تحقير للدنيا ، والمراد برحمة ربك هنا النبوة وقيل الجنة (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) الآية : تحقير أيضا للدنيا ، ومعناها لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا للكفار سقفا من فضة ، وذلك لهوان الدنيا على الله كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء (ومعارج عليها يظهرون) المعارج الأدراج والسلالم ، ومعنى يظهرون يرتفعون ، ومنه « فما استطاعوا أن يظهروه » والسرر جمع سرير ، والزخرف الذهب ، وقيل أثاث البيت من الستور والنمارق وشبه ذلك وقيل هو التزويق والنقش وشبه ذلك من التزيين كقولك « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) يعش من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره ، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة ، وقال الزمخشرى يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة فى عينيه ، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظرة الأعشى وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق ، والظاهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر ،

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۞ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى
ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم
مُّنتَقِمُونَ ۞ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۞ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۞ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا

وذكر الرحمن ، وقال الزمخشري يريد به القرآن ، وقال ابن عطية يريد به ماذكر الله به عباده من المواعظ ، فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، ويحتمل عندي أن يريد ذكر العبد لله ، ومعنى الآية : أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا ، فتلك عقوبة على الغفلة عن الذكر بتسليط الشيطان كما أن من داوم على الذكر تباعد عنه الشيطان (وإنهم ليصدونهم عن السبيل) الضمير في إنهم للشياطين ، وضمير المفعول في يصدونهم لمن يعش عن ذكر الرحمن ، وجمع الضميرين لأن المراد به جمع (حتى إذا جاءنا) قرئ جاءانا بضمير الاثنين وهما من يعش وشيطانه ، وقرئ بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو من يعش ، والضمير في قال لمن يعش ، وقيل للشيطان (بعد المشرقين) فيه قولان . أحدهما أنه يعني المشرق والمغرب ، وغلب أحدهما في التشبيه ، كما قيل القمران ، والآخر أنه يعني المشرقين والمغربين ، وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) هذا كلام يقال للكفار في الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم إشتراكهم في العذاب ولا يجدون راحة التأسي التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه ، والفاعل في ينفعكم قوله «أنكم في العذاب مشتركون ، وإذ ظلمتم : تعليل معناه بسبب ظلمكم ، وقيل الفاعل مضمر وهو التبري الذي يقتضيه قوله «ياليت بيني وبينك بعد المشرقين» وأنكم على هذا تعليل ، والأول أرجح (أفأنت تسمع الصم) الآية : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد بالصم والعمى الكفار إذ كانوا لا يعقلون براهين الإسلام (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، ومقصد الآية وعيد للكفار ، والمعنى إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك ، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون ، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة ، وقيل إن الضمير في منهم منتقمون المسلمين ، وأن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد ، وأنه أكرم نبيه عليه السلام بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته ، والأول أشهر وأظهر (وإنه لذكر لك ولقومك) الضمير في إنه للقرآن أو للإسلام ، والذكر هنا بمعنى الشرف ، وقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم قريش وسائر العرب ، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها وصارت منهم الخلافة والملك ، وورد عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الأمر بعده لقريش ، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة ، فقومه على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم (وسوف تسئلون) أي تسئلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) إن قيل كيف أمر النبي صلى الله عليه

مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا
وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ۝
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ
ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِى أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَآ أُلْقِىَ

وآله وسلم أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه : الأول أنه رآهم ليلة الإسراء . الثانى أن المعنى اسأل أمة من أرسلنا قبلك . الثالث أنه لم يرد سؤالهم حقيقة ، وإنما المعنى أن شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا أهل مع الله آلهة يعبدون لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) الآيات هنا المعجزات كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء وقيل البراهين والحجج العقلية ، والأول أظهر ومعنى أكبر من أختها أنها فى غاية الكبر والظهور ولم يرد تفضيلها على غيرها من الآيات ، إنما المعنى أنها إذا نظرت وجدت كبيرة ، وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة فهو كقول الشاعر :

* من تاق منهم فقل لاقيت سيدهم *

هكذا قال الزمخشرى ، ويحتمل عندى أن يريد ما نريهم من آية إلا هى أكبر مما تقدمها ، فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك) ظاهر كلامهم هذا التناقض ، فإن قولهم يا أيها الساحر يقتضى تكذيبهم له وقولهم ادع لنا ربك يقتضى تصديقه ، والجواب من وجهين : أحدهما أن القائلين لذلك كانوا مكذبين ، وقولهم ادع لنا ربك : يريدون على قولك وزعمك وقولهم إننا لمهتدون وعد نووا خلافه ، والآخر : أنهم كانوا مصدقين ، وقولهم يأيها الساحر إما أن يكون عندهم غير مذموم ، لأن السحر كان علم أهل زمانهم وكأنهم قالوا يأيها العالم ، وإما أن يكون ذلك اسما قد ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه (ونادى فرعون فى قومه) يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر منادياً ينادى فيهم (قال ياقوم أليس لى ملك مصر) قصد بذلك الافتخار على موسى ، ومصر هى البلد المعروف وما يرجع إليه ، ومنتهى ذلك من نهر إسكندرية إلى أسوان بطول النيل (وهذه الأنهار تجرى من تحتى) يعنى الخلجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجرى تحت قصره ، وأعظمها أربعة أنهار : نهر الإسكندرية وتنيس ودمياط ، ونهر طولون (أفلا تبصرون أم أنا خير) مذهب سيبويه أن أم هنا متصلة معادلة ، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فإنهم عنده بصراء ، وهذا من وضع السبب موضع المسبب ، وكان الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ، ثم اقتصر على أم وحذف الفعل الذى بعدها واستأنف قوله ، أنا خير على وجه الإخبار ويوقف على هذا القول على أم وهذا ضعيف ، وقيل أم بمعنى بل فهى منقطعة (مهين) أى ضعيف حقير قاله الزمخشرى وغيره (ولا يكاد يبين) إشارة إلى ما بقى فى لسان موسى من أثر الجمرة ، وذلك أنها كانت قد أحدثت فى لسانه عقدة ، فلما دعا أن تحل أجيبت دعوته وبقى منها أثر كان معه لكنة ،

عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَـٰسِقِينَ
فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ۝ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ

وقيل يعنى العىّ فى الكلام ، وقوله ولا يكاديبين : يقتضى أنه كان يبين، لأن كاد إذانفيت تقتضى الإثبات (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته ، والأسورة جمع سوار وأسوار ، وهو مايجعل فى الذراع من الحلى ، وكان الرجال حينئذ يجعلونه (مقترنين) أى مقترنين به لايفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة (فاستخف قومه) أى طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم (آسفونا) أى أغضبونا (فجعلناهم سلفاً ومثلا الآخرين) السلف بفتح السين واللام جمع سالف ، وقرئ بضمها جمع سليف ومعناه متقدم : أى تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ، ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) روى عن ابن عباس وغيره فى تفسيره هذه الآية أنه لما نزل فى القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه ، قالت قريش مايريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا ، حكى ذلك ابن عطية والذى ضرب المثل على هذا هو الله فى القرآن ، ويصدون بمعنى يعرضون ، وقال الزمخشرى : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك ، وقال عبد الله بن الزبعرى أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبىّ وتثنى عليه خيراً وقد علمت أن النصارى عبدوه فإن كان عيسى فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ، ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، ونزلت هذه الآية ، فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعرى عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قريش من هذا المثل يصدون أى يضحكون ويصيحون من الفرح ، وهذا المعنى إنما يجرى على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح (وقالوا آ لهتنا خير أم هو) يعنون بهو عيسى ، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى ، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا ، وهذا الكلام من تمام ماقبله على ماذكره الزمخشرى فى تفسير الآية التى قبله ، وأما على ماذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر ، وحكى الزمخشرى فى معنى هذه الآية قولا آخر ، وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى . وقيل إن قولهم أم هو : يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدل على ذلك تقدم ذكره (ماضربوه لك إلا جدلا) أى ماضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل وهو أن

إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝
وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝
وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ ۝ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ

يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل ، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل فى قوله تعالى حصب جهنم ، ولكنهم أرادوا المغالطة ، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) يعنى عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) فى معناها قولان : أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بنى آدم ، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون ، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم أى لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم فى الأرض كما يخلفكم أولادكم ، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد ، حكى ذلك الزمخشرى (وإنه لعلم للساعة) الضمير لعيسى وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل للقرآن ، فأما على القول بأنه لعيسى أو لمحمد فالمعنى أنه شرط من أشراط الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به ، ولذلك قرئ لعلم بفتح العين واللام : أى علامة وأما على القول بأنه للقرآن : فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة (أولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) إنما بين البعض دون الكل لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا ، وقيل بعض بمعنى كل وهذا ضعيف (فاختلف الأحزاب) ذكر فى مريم (هل ينظرون إلا الساعة) أى ينتظرون ، والضمير لقريش أو للأحزاب (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الأخلاء جمع خليل وهو الصديق ، وإنما يعادى الخليل خليله يوم القيامة ، لأن الضرر دخل عليه من صحبته ، ولذلك استثنى المتقين ، لأن النفع دخل على بعضهم من بعض (ياعباد) الآية . تقديره يقول الله يوم القيامة للمتقين ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (تحبرون) أى تنعمون وتسرون (وهم فيه مبلسون) أى يائسون من الخير (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) المعنى أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ۞ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم
بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ۞ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى
ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ

العذاب ، وروى أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم إنكم ماكثون أى دائمون فى النار (لقد جئناكم بالحق) الآية من كلام الله تعالى لأهل النار ، أو من كلام الله لقريش فى الدنيا (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون) الضمير لكفار قريش ، والمعنى أنهم إن أحكموا كيد النبى صلى الله عليه وسلم فإنا محكمون نصره وحمايته (أم يحسبون) الآية : روى أنها نزلت فى الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتمعا وقال الأخنس أترى الله يسمع سرنا ، فقال الآخر يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا (سرهم ونجواهم) السرّ ما يحدث الإنسان به نفسه أو غيره فى خفية ، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) أى نسمع ورسلنا مع ذلك تكتب مايقولون والرسل هنا الملائكة الحافظون للأعمال (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) فى تأويل الآية أربعة أقوال : الأول أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم ، ومعناها لو كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم والده ، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعابد إلا الله وحده ، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم لأنه علق عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال ، ونظير هذا أن يقول المالكى إذا قصد الرد على الحنفى فى تحريم النبيذ . إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال لكنه مسكر فهو حرام ، القول الثانى إن كان للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم فى قولكم أن له ولدا ، والعابدين على هذين القولين بمعنى العبادة ، القول الثالث أن العابدين بمعنى المنكرين : يقال عبد الرجل إذا أنف وتكبر وأنكر الشىء ، والمعنى إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك ، وإن على هذه الأقوال الثلاثة شرطية ، القول الرابع قال قتادة وابن زيد إن هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ، ثم ابتدأ قوله فأنا أول العابدين ، والأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة فى البراهين والأدلة ، وهو الذى عول عليه الزمخشرى ، وقال الطبرى هو ملاطفة فى الخطاب ونحوه قوله تعالى «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» وقال ابن عطية منه قوله تعالى فى مخاطبة الكفار «أين شركائى» يعنى شركائى على قولكم (فذرهم) الآية موادعة منسوخة بالسيف (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء والمجرور يتعلق بإله لأن فيه معنى الوصفية (وعنده علم الساعة) أى علم زمان وقوعها (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله ، لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فهو المالك للشفاعة وحده (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) اختلف هل يعنى بمن شهد بالحق الشافع أو المشفوع فيه ، فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع والمعنى لا يملك المعبودون شفاعة لكن من شهد بالحق وهو عالم

يَعْلَمُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *

سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ نزلت بعد الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ

به فهو الذى يشفع فيه ، ويحتمل على هذا أن يكون من شهد مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره الشفاعة فيمن شهد بالحق ، وإن أراد بمن شهد بالحق الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة ، والمعنى على هذا لا يملك المعبودون شفاعة إلا من شهد بالحق (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) القيل مصدر كالقول ، والضمير يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقرئ قيله بالنصب والخفض وقرئ فى غير السبع بالرفع ، فأما النصب فقيل هو معطوف على سرهم ونجواهم ، وقيل هو معطوف على موضع الساعة لأنها مفعول أضيف إلى المصدر وقيل معطوف على مفعول محذوف تقديره يكتبون أقوالهم وقيله ، وأما الخفض فقيل إنه معطوف على لفظ الساعة ، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله بالحق ، وأما على الرفع فقيل إنه مبتدأ وخبره مابعده ، وضعف الزمخشرى ذلك كله وقال إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك الله لأضربن زيدا والرفع كقولهم أيمن الله ولعمرك ، وجواب القسم قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قال أقسم بقيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) منسوخ بالسيف (وقل سلام) تقديره أمرى سلام : أى مسالمة ، وقيل سلام عليكم على جهة الموادعة وهو منسوخ على الوجهين (فسوف يعلمون) تهديد

سورة الدخان

(والكتاب المبين) ذكر فى الزخرف وهو قسم جوابه إنا أنزلناه ، وقيل إنا كنا منذرين وهو بعيد (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) يعنى ليلة القدر من رمضان وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شىء وقيل معناه أنه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر ، وقيل يعنى بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل ، لقوله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » مع قوله « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » (فيها يفرق كل أمر حكيم) معنى يفرق يفصل ويخلص ، والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم فى ذلك العام نسخ من اللوح المحفوظ فى ليلة القدر ليتمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة ، وقيل إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان وهذا باطل لما قدمنا (أمرا من عندنا) مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشرى ، وقال ابن عطية نصب على المصدر ، وقيل على الحال (مرسلين) إرسال الرسل عليهم السلام ، وقيل

فى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوٓا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّى ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۞ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاعْتَزِلُونِ ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا

من إرسال الرحمة والأول أظهر (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) فى هذا قولان أحدهما قول على بن أبى طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أول أشراط الساعة الدخان والثانى قول ابن مسعود إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع قال ابن مسعود خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والدوم (هذا عذاب أليم) يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أو من قول الناس لما أصابهم الدخان، وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا (أنى لهم الذكرى) هذا من كلام الله تعالى ومعناه استبعاد تذكيرالكفار مع تكذيبهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، والواو فى قوله وقد جاءهم واو الحال (رسول مبين) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (وقالوا معلم) أى يعلمه بشر (البطشة الكبرى) قال ابن عباس هى يوم القيامة، وقال ابن مسعود هى يوم بدر (رسول كريم) يعنى موسى عليه السلام (أن أدوا إلىّ عباد الله) أن هنا مفسرة نائب مناب القول، وأدوا فعل أمر من الأداء وعباد الله مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى أرسلوا بنى إسرائيل كما قال فى طه «أرسل معنا بنى إسرائيل» وقيل عباد الله منادى، والمعنى أدوا إلىّ الطاعة والإيمان ياعباد الله، والأول أظهر (وألا تعلوا) أى لا تتكبروا (بسلطان) أى حجة وبرهان (أن ترجمون) اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب والأول أظهر (فاعتزلون) أى اتركون وخلوا سبيلى (فأسر بعبادى) هذا أمر من الله لموسى عليه السلام والعباد هنا بنو إسرائيل أى اخرج بهم بالليل (إنكم متبعون) إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم (واترك البحر رهوا) أى ساكنا على هيئته وقيل يابسا وروى أن موسى لما جاوز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه، وقيل معنى رهوا سهلا، وقيل منفرجا (وعيون) يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل وكانت ثم عيون فى ذلك الزمان، وقيل يعنى الذهب والفضة وهو بعيد (ومقام كريم) فيه قولان المنابر والمساكن الحسان (ونعمة) من التنعم بالأرزاق وغيرها (فاكهين) أى متنعمين، وقيل فرحين

ءاخرين ۞ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ۞ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب
المهين ۞ من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ۞ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ۞ وءاتيناهم من
الآيات ما فيه بلؤا مبين ۞ إن هؤلاء ليقولون ۞ إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين ۞ فأتوا
بآبائنا إن كنتم صادقين ۞ أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين ۞ وما
خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ۞ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ إن
يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ۞ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ۞ إلا من رحم الله إنه هو
العزيز الرحيم ۞ إن شجرت الزقوم ۞ طعام الأثيم ۞ كالمهل يغلي في البطون ۞ كغلي الحميم ۞ خذوه فاعتلوه إلى

وقيل أصحاب فاكهة (كذلك) فى موضع نصب أى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم ، أوفى موضع رفع تقديره الأمر كذلك (وأورثناها قوما آخرين) يعنى بنى إسرائيل حكاه الزمخشرى والماوردى وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يروفى مشهور التواريخ أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر فى ذلك الزمان ، وقد قال الحسن إنهم رجعوا إليها ، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل قوله فى الشعراء وأورثناها بنى إسرائيل (فما بكت عليهم السماء والأرض) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه عبارة عن تحقيرهم ، وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيمه بكت عليه السماء والأرض على وجه المجاز والمبالغة ، فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالى بهم . الثانى قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله،فالمعنى أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار أو ليس لهم عمل صالح:الثالث أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض ، والأول أفصح وهو منزع معروف فى كلام العرب (وكانوا منظرين) أى مؤخرين (من فرعون) بدل من العذاب (عاليا) أى متكبراً (اخترناهم على علم) أى كنا عالمين بأنهم مستحقون لذلك (على العالمين) أى على أهل زمانهم (بلاء مبين) أى اختبار (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش (فأتوا بآبائنا) خاطبت قريش بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على وجه التعجيز ، روى أنهم طلبوا أن يحيى لهم قصى بن كلاب يسألوه عن أحوال الآخرة (أهم خير أم قوم تبع) كان تبع ملك من حمير وكان مؤمنا وقومه كفاراً فذم الله قومه ولم يذمه ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى ، ومعنى الآية أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار ، وقدأهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء ، فمقصود الكلام تهديد (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع : وقيل هو مبتدأ فيوقف على ما قبله والأول أصح (لاعبين) حال منفية ذكرت فى الأنبياء (يوم لا يغنى مولى عن مولى) المولى هنا يعم الولى والقريب وغير ذلك من الموالى (إلا من رحم الله) استثناء منقطع إن أراد بقوله ولاهم ينصرون الكفار ، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس (طعام الأثيم) أى الفاجر وهو من الإثم ، وقيل يعنى أباجهل فالألف واللام للعهد والأظهر أنها للجنس

سَوَآءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ۞

سورة الجاثية

مكية إلا آية ١٤ فمدنية وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم ۞ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ

فتعم أبا جهل وغيره (كالمهل) هو دردى الزيت، وقيل مايذاب من الرصاص وغيره (فاعتلوه) أى سوقوه بتعنيف (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب فى الحقيقة إنما هو الحميم وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلا، وقد جاء الأصل فى قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم (ذق إنك أنت العزيز الكريم) يقال هذا للكافر على وجه التوبيخ والتهكم به أى كنت العزيز الكريم عند نفسك، وروى أن أبا جهل قال مابين جبليها أعزمنى ولا أكرم فنزلت الآية (تمترون) تفتعلون من المرية وهى الشك (فى مقام أمين) قرئ بضم الميم أى موضع إقامة، وفتحها أى موضع قيام والمراد به الجنة والأمين من الأمن أى مأمون فيه، وقيل من الأمنة وصف به المكان مجازاً (من سندس وإستبرق) السندس الرقيق من الديباج والإستبرق الغليظ منه (كذلك) فى موضع رفع أى الأمر كذلك، أو فى موضع نصب أى مثل ذلك زوجناهم (يدعون فيها) أى يدعون خدامهم (إلا الموتة الأولى) استثناء منقطع، والمعنى لايذوقون فيها الموت: لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا قوله فيها لكان متصلا لعموم لفظ الموت، وقيل إلا هنا بمعنى بعد وذلك ضعيف (يسرناه) أى سهلناه والضمير للقرآن (بلسانك) أى بلغتك وهى لسان العرب (فارتقب إنهم مرتقبون) أى ارتقب نصرنا لك وإهلاكهم فإنهم مرتقبون ضد ذلك، ففيه وعد له ووعيد لهم.

سورة الجاثيه

(تنزيل) ذكر فى الزمر وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات وقد ذكر معناه فى مواضع (ويل لكل أفاك أثيم)

اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْئًا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ مِن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُتَّقِينَ ۝

الأفاك مبالغة من الإفك وهو الكذب ، والأثيم من الإثم ، وقيل إنها نزلت فى النضر بن الحارث ولفظها على العموم (يصرّ) أى يدوم على حاله من الكفر ، وإنما عطفه بثم لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله واستبعاد ذلك فى العقل والطبع (وإذا علم من آياتنا) أى إذا بلغه منها شىء ولم يرد العلم الحقيقى (من ورائهم جهنم) كقوله من ورائه عذاب غليظ ، وقد ذكر فى إبراهيم (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض) يعنى الشمس والقمر والملائكة وبنى آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك (جميعا منه) أى كل نعمة فمن الله تعالى ، والمجرور فى موضع الحال أو خبر ابتداء مضمر ، وقرأ ابن عباس منه (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله) أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار ولا يؤاخذوهم إذا آذوهم ، وكان ذلك فى صدر الإسلام ، قيل إنها منسوخة بالسيف ، وقيل ليست بمنسوخة لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال ، وأما القتال على الإسلام فليس من ذلك ، وروى أن الآية نزلت فى عمر بن الخطاب شتمه رجل من الكفار فأراد عمر أن يبطش به ، وأيام الله هى نعمه ، فالرجاء على أصله ، وقيل أيام الله عبارة عن عقابه ، فالرجاء بمعنى الخوف ويغفروا مجزوم فى جواب شرط مقدر دل عليه قل ، قال الزمخشرى حذف معمول القول ، والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) فاعل يجزى ضمير يعود على الله ، وقرئ بنون المتكلم ، وقال ابن عطية إن الآية وعيد ، فالقوم على هذا هم الذين لايرجون أيام الله ويكسبون يعنى السيئات ، وقال الزمخشرى القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه (على العالمين) ذكر فى البقرة (بينات من الأمر) أى معجزات من أمر الدين (جعلناك على شريعة من الأمر) أى ملة ودين (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ
سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

آمنوا) أم هنا للإنكار ، واجترحوا اكتسبوا ، والمراد بالذين اجترحوا السيئات الكفار لمقابلته بالذين آمنوا ، ولأن الآية مكية : وقد يتناول لفظها المذنبين من المؤمنين ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكى طول الليل ويقول لنفسه من أىّ الفريقين أنت ، ومعناها إنكار ماحسبه الكفار من أن يكونواهم والمؤمنون سواء فى المحيا والممات ، وفى تأويلها مع ذلك قولان : أحدهما أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لافى المحيا ولافى الممات ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك ملتهم ليست سواء ، والقول الآخر أنهم استووا فى المحيا فى أمور الدنيا من الصحة والرزق فلايستوون فى الممات ، بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون ، فالمراد بها إثبات الجزاء فى الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين فى الآخرة ، وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح فيكون معنى الآية كقوله « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » وكقوله « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (سواء محياهم ومماتهم) هذه الجملة بدل من الكاف فى قوله كالذين آمنوا وهى مفسرة للتشبيه ، وهى داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار وقيل هى كلام مستأنف ؛ والمعنى على هذا أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء لأن كل واحد يموت على ماعاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ماقبلها على المعنى الذى اخترناه ، وأما إعرابها فمن قرأ سواء بالرفع فهو مبتدأ وخبره محياهم ومماتهم والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا ثانيا لنجعل ، ومن قرأ سواء بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لنجعل ، ومحياهم فاعل بسواء ، لأنه فى معنى مستوى (ساء مايحكمون) أى ساء حكمهم فى تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين (لتجزى كل نفس بما كسبت) معطوف على قوله بالحق ، لأن فيه معنى التعليل ، أو على تعليل محذوف تقديره خلق الله السموات والأرض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت (اتخذ إلهه هواه) أى أطاعه حتى صار له كالإله (وأضله الله على علم) أى على علم من الله سابق ، وقيل على علم من هذا الضال بأنه على ضلال ، ولكنه يتبع الضلال معاندة (ختم) ذكر فى البقرة (فمن يهديه من بعد الله) قال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره من بعد إضلال الله إياه ، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله (وقالوا) الضمير لمن اتخذ إلهه هواه أو لقريش (نموت ونحيا) فيه أربع تأويلات : أحدها أنهم أرادوا يموت قوم ويحيا قوم ، والآخر نموت نحن ويحيا أولادنا ، الثالث نموت حين كنا عدما أو نطفا ، ونحيا فى الدنيا ، والرابع نموت الموت المعروف ، ونحيا قبله فى الدنيا فوقع فى اللفظ تقديم وتأخير ، ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة ، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية

مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ۞ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۞ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۞ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞

لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر ، فرد الله عليهم بقوله وما لهم بذلك من علم الآية (قالوا ائتوا بآبائنا) ذكر فى الدخان (قل الله يحييكم) الآية : رد على المنكرين للحشر والاستدلال على وقوعه بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة (وترى كل أمة جاثية) أى تجثو على الركب وتلك هيئة الخائف الذليل (كل أمة تدعى إلى كتابها) أى إلى صحائف أعمالها ، وقيل الكتاب المنزل عليها ، والأول أرجح لقوله « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » الآية : فإن قيل : كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى ؟ فالجواب : أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه ، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه ، وأنه هو الذى أمر الملائكة أن يكتبوه (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أى نأمر الملائكة الحافظين بكتب أعمالكم ، وقيل إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ أعمال العباد من اللوح المحفوظ ، ثم يمسكونه عندهم فتأتى أفعال العباد على ذلك ، فتكتبها الملائكة ، فذلك هو الاستنساخ وكان ابن عباس يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصل (أفلم تكن) تقديره يقال لهم ذلك (وحاق) ذكر مرارا (اليوم ننساكم) النسيان هنا بمعنى الترك ، وأما فى قوله كما نسيتم فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول (ولا هم يستعتبون) من العتبى وهى الرضا

سورة الأحقاف

مكية إلا الآيات ١٠ و١٥ و٣٥ فمدنية وآياتها ٣٥ نزلت بعد الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا

سورة الأحقاف

(تنزيل) ذكر فى الزمر (إلا بالحق) ذكر مرارا (وأجل مسمى) يعنى يوم القيامة (أرونى ماذا خلقوا) احتجاج على التوحيد ورد على المشركين ، فالأمر بمعنى التعجيز (شرك فى السموات) أى نصيب (ائتونى بكتاب) تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله ، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد (أو أثارة من علم) أى بقية من علم قديم يدل على مايقولون ، وقيل معناه من علم تثيرونه أى تستخرجونه ، وقيل هو الإسناد ، وقيل هو الخط فى الرمل ، وكانت العرب تتكهن به ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبى من الأنبياء يخط فى الرمل فمن وافق خطه فذاك (ومن أضل) الآية . معناها لا أحد أضل ممن يدعو إلها لا يستجيب له وهى الأصنام فإنها لا تسمع ولا تعقل ، ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم ، لأنها لا تسمعه (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) أى كان الأصنام أعداء للذين عبدوها (وكانوا بعبادتهم كافرين) الضمير فى كانوا للأصنام : أى تتبرأ الأصنام من الذين عبدوها ، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء لأنه أسند إليهم مايسند إلى العقلاء ، من الاستجابة والغفلة والعداوة (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً) أى لو افتريته لعاقبنى الله على الافتراء عقوبة لا تقدرون على دفعها ولا تملكون شيئاً من ردها عليه فكيف أفتريه وأتعرض لعقاب الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى بما تتكلمون به ، يقال أفاض الرجل فى الحديث إذا خاض فيه واستمر (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع والبديع من الأشياء : مالم ير مثله أى ما كنت أول رسول ، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحد قبلى ، بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلى ، فلأى شىء تنكرون ذلك (وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) فيها أربعة أقوال : الأول أنها فى أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم

إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۞ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

أنه فى الجنة ، وقبل أن يعلم أن المؤمنين فى الجنة وأن الكفار فى النار ، وهذا بعيد ، لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله والثانى أنها فى أمر الدنيا : أى لا أدرى بما يقضى الله علىّ وعليكم ، فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر . الثالث ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم من الأوامر والنواهى وما تلزمه الشريعة . الرابع أن هذا كان فى الهجرة إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به) معنى الآية أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ، ثم حذف قوله ألستم ظالمين وهو الجواب ، لأنه دل على أن الله لا يهدى القوم الظالمين (وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله) هذه الجملة معطوفة على الجملة التى قبلها ، فالمعنى أرأيتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بنى إسرائيل على مثله ثم آمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم ألستم أضل الناس وأظلم الناس ، واختلف فى الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبد الله بن سلام ، فقيل على هذا إن الآية مدنية ، لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وقيل إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر ، وكان عبد الله بن سلام يقول فىّ نزلت الآية ، الثانى أنه رجل من بنى إسرائيل كان بمكة : الثالث أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبرى والضمير فى مثله للقرآن أى يشهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد ، والضمير فى آمن للشاهد فإن كان عبد الله بن سلام أو الرجل الآخر فإيمانه بين ، وإن كان موسى عليه السلام ، فإيمانه هو تصديقه بأمر محمد صلى الله عليه وسلم وتبشيره به (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أى لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء ، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب وقيل بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة ، وقيل بل قالها اليهود لما أسلم عبد الله ابن سلام ، والأول أرجح لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة وأما مقالة الآخرين فإنما كانت بعد الهجرة ومعنى الذين آمنوا من أجل الذين آمنوا : أى قالوا ذلك عنهم فى غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبوهم بهذا الكلام لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) أى لما لم يهتدوا قالوا هذا إفك قديم ونحو هذا ما جاء فى المثل من جهل شيئا عاداه ، ووصفه بالقدم لأنه قد قيل قديما ، فإن قيل : كيف تعمل فسيقولون فى إذ وهى للماضى والعامل مستقبل ؟ فالجواب : أن العامل فى إذ محذوف تقديره إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون ، قال ذلك الزمخشرى ، ويظهر لى أن إذ هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضى فلا يلزم السؤال ، والمعنى أنهم قالوا هذا إفك بسبب أنهم لم يهتدوا به ، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل فى القرآن وفى كلام العرب ومنه « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم » أى بسبب ظلمكم (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) الضمير فى قبله للقرآن وكتاب موسى هو التوراة ، وإماما حال ، ومعناه يقتدى به (وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) الإشارة بهذا إلى القرآن ، ومعنى مصدق مصدق بما قبله من الكتب ، وقد

مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ
بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا
أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ

ذكرنا ذلك فى البقرة ولسان حال من الضمير فى مصدق ، وقيل مفعول بمصدق أى صدق ذا لسان عربى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، واختار هذا ابن عطية (استقاموا) ذكر فى حم السجدة (حسنا) ذكر فى العنكبوت (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى حملته بمشقة ووضعته بمشقة ، ويقال كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) أى مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهراً وهذا لا يكون إلا بأن ينقص من أحد الطرفين ، وذلك إما أن يكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين ، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر ، ومن هذا أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع (بلغ أشده) ذكر فى يوسف (وبلغ أربعين سنة) هذا حد كمال العقل والقوة ، ويقال إن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقيل إنها عامة (فى أصحاب الجنة) أى فى جملة أصحاب الجنة كما تقول رأيت فلانا فى الناس أى مع الناس (والذى قال لوالديه أف لكما) قال مروان بن الحكم نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كفره كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف ، وأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك ، وقالت والله ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى ، ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى «أولئك الذين حق عليهم القول لأن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أسلم وكان من خيار المسلمين ، وكان له فى الجهاد غنى عظيم ، وقال السدى ما رأيت أعبد منه ، وقال ابن عباس نزلت فى ابن لأبى بكر ولم يسمه ، ويرد ذلك ما ذكرناه عن عائشة وقيل هى على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه ، ويدل على أنها عامة قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول بصيغة الجمع ، ولو أراد واحدا بعينه لقال ذلك الذى حق عليه القول ، وقد ذكرنا معنى أف فى الإسراء (أتعداننى أن أخرج) أى أتعداننى أنا أن أخرج من القبر إلى البعث (وقد خلت القرون من قبلى) أى وقد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) الضمير لوالديه أى يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقول منهما ثم يقولان له ويلك ثم يأمرانه بالإيمان : فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين : أى

وَالْإِنس إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَوْمَ يُعْرَضُ
الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا
كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ
وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوا أَجِئْتَنَا
لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ
وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم
بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَقَدْ

قد سطره الأولون فى كتبهم ، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة (ولكل درجات مما عملوا) أى للمحسنين والمسيئين درجات فى الآخرة بسبب أعمالهم ، فدرجات أهل الجنة إلى علو ، ودرجات أهل النار إلى سفل ، وليوفيهم تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره جعل جزاءهم درجات ليوفيهم أعمالهم (ويوم يعرض) العامل فيه محذوف تقديره اذكر (أذهبتم طيباتكم) تقديره يقال لهم أذهبتم طيباتكم ؛ والطيبات هنا الملاذ من المآكل وغيرها ؛ وقرئ أذهبتم بهمزة واحدة على الخبر وبهمزتين على التوبيخ ، والآية فى الكفار بدليل قوله يعرض الذين كفروا وهى مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين ، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله وقد رآه اشترى لحما أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية (عذاب الهون) أى العذاب الذى يقترن به هوان (واذكر أخا عاد) يعنى هودا عليه السلام (بالأحقاف) جمع حقف وهو الكثيب من الرمل واختلف أين كانت فقيل بالشام ، وقيل بين عمان ومهرة وقيل بين عمان وحضرموت ، والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن (وقد خلت النذر) أى تقدمت من قبله ومن بعده ، والنذر جمع نذير ، فإن قيل : كيف يتصور تقدمها من بعده ؟ فالجواب أن هذه الجملة اعتراض وهى إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده ، وقيل معنى من خلفه فى زمانه (قل إنما العلم عند الله) أى قل إن العذاب الذى قلتم ائتنا به ليس لى علم متى يكون ، وإنما يعلمه الله ، وما علىّ إلا أن أبلغكم ما أرسلت به (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) العارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ، والضمير فى رأوه يعود على ما تعدنا أو على المرئى المبهم الذى فسره قوله عارضا قال الزمخشرى وهذا أعرب وأفصح ، وروى أنهم كانوا قد قحطوا مدة ، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به فقال لهم هود عليه السلام : بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقوله ريح بدل من ما استعجلتم أو خبر ابتداء مضمر (تدمر كل شىء بأمر ربها) عموم يراد به الخصوص (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد أى مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك ، ثم أهلكناهم لما كفروا وإن هنا نافية بمعنى ما ، وعدل

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّن عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى

عن ما كراهية لاجتماعها مع التى قبلها ، وقيل إن شرطية ، وجوابها محذوف تقديره إن مكناكم فيه طغيتم ، قال ابن عطية : وهذا تنطع فى التأويل (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعنى بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها ، والمراد إهلاك أهلها (فلولا نصرهم) الآية عرض معناه النفى أى لم تنصرهم آلهتهم التى عبدوا من دون الله (قربانا) أى تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وانتصاب قربانا على الحال ، ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانياً لاتخذوا وآلهة بدل منه لفساد المعنى ، قاله الزمخشرى ، وقد أجازه ابن عطية (بل ضلوا عنهم) أى تلفوا لهم وغابوا عن نصرهم حين احتاجوا اليهم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى أملناهم نحوك ، والنفر دون العشرة وروى أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا ، لأن النفر الرجال دون النساء ، وكانوا من أهل نصيبين ، وقيل من أهل الجزيرة ، واختلف هل رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قيل إنه لم يرهم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك ، وقيل بل علم بهم واستعدلهم واجتمع معهم ، وقد ورد فى ذلك عن عبد الله ابن مسعود أحاديث مضطربة ، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا من استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا ما هذا إلا لأمر حدث فطافوا بالأرض ينظرون ما أوجب ذلك حتى سمعوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صلاة الفجر فى سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به (أنزل من بعد موسى) فى هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود وقيل كانوا لم يعلموا ببعث عيسى (مصدقا لما بين يديه) ذكر فى البقرة (داعى الله) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض على الأصح أى يغفر لكم الذنوب التى فعلتم قبل الإسلام ، وأما التى بعد الإسلام فهى فى مشيئة الله ، وقيل معنى التبعيض أن المظالم لا تغفر وقيل إن من زائدة (ويجركم من عذاب أليم) أى من النار ، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار ، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة (ومن لا يجب داعى الله) الآية : يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى ومعنى ليس بمعجز أى لا يفوت (أولم يروا) الآية : احتجاج على بعث الأجساد بخلق السموات والأرض (ولم يعى بخلقهن) يقال عييت بالأمر إذا لم تعرفه فالمعنى أنه تعالى علم كيف خلق السموات والأرض وأحكم خلقتها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى (بقادر) فى موضع رفع لأنه خبر أن

النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۞

سـورة محمد

مدنية إلا آية ١٣ فنزلت فى الطريق أثناء الهجرة وآياتها ٣٨ نزلت بعد الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۞ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ

وإنما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وخبرها (بلى) جواب لما تقدم أى هو قادر على أن يحيى الموتى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أى اصبر على تكذيب قومك وأولوا العزم هم نوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وقيل هم الثمانية عشر المذكورون فى سورة الأنعام لقوله فبهداهم اقتده ، وقيل كل من لقى من أمته شدة وقيل الرسل كلهم أولوا عزم فمن الرسل على هذا لبيان الجنس وعلى الأقوال المتقدمة للتبعيض (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل نزول العذاب بهم فإنهم صائرون إليه فإنهم إذا هلكوا كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعة من نهار لاستقصار أعمارهم (بلاغ) خبر ابتداء مضمر تقديره هذا الذى وعظتم به بلاغ بمعنى كفاية فى الموعظة أو بلاغ من الرسول عليه الصلاة والسلام أى بلغ هذه المواعظ والبراهين .

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

(الذين كفروا) يعنى كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا والذين آمنوا يعنى الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن (وصدوا عن سبيل الله) يحتمل أن يكون صدوا بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد أو يكون بمعنى صدوا الناس فيكون متعدياً وسبيل الله الإسلام والطاعة (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وقيل المراد بأعمالهم هنا ما أنفقوا فى غزوة بدر فإن هذه الآية نزلت بعد بدر واللفظ أعم من ذلك (وآمنوا بما نزل على محمد) هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد عموم قوله آمنوا وعملوا الصالحات ولذلك أكده بالجملة الاعتراضية ، وهو قوله وهو الحق من ربهم (وأصلح بالهم) قيل معناه أصلح حالهم وشأنهم وحقيقة البال الخاطر الذى فى القلب وإذا صلح القلب صلح الجسد كله فالمعنى إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد اقتلوهم ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب فى صفة القتل (حتى إذا أثخنتموهم)

تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ

أى هزمتموهم والإثخان أن يكثر فيهم القتل والأسر (فشدوا الوثاق) عبارة عن الأسر (فإما منا بعد وإما فداء) المن العتق والفداء فك الأسير بمال وهما جائزان فإن مذهب مالك أن الإمام مخير فى الأسارى بين خمسة أشياء وهى المن والفداء والقتل والاسترقاق وضرب الجزية وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين فلا يجوز على هذا إلا قتلهم والصحيح أنها محكمة وانتصب منا وفداء على المصدرية والعامل فيهما فعلان مضمران (حتى تضع الحرب أوزارها) الأوزار فى اللغة الأثقال فالمعنى حتى تذهب وتزول أثقالها وهى آلاتها وقيل الأوزار الآثام لأن الحرب لابد أن يكون فيها إثم فى أحد الجانبين واختلف فى الغاية المرادة هنا فقيل حتى يسلموا الجميع فحينئذ تضع الحرب أوزارها وقيل حتى تقتلوهم وتغلبوهم وقيل حتى ينزل عيسى ابن مريم قال ابن عطية ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدا كما تقول أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة (ذلك) تقديره الأمر ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أو لو شاء الله لأهلك الكفار بعذاب من عنده ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض (عرفها لهم) أى جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة وقيل معناه طيبها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة وقيل معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التى هى الجبال (فتعسا لهم) أى عثارا وهلاكا وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر وعلى هذا الفعل خطب وأضل أعمالهم (وللكافرين أمثالها) أى لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك (مولى الذين آمنوا) أى وليهم وناصرهم وكذلك وأن الكافرين لا مولى لهم معناه لا ناصر لهم ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق لأن معنى المولى مختلف فى الموضعين فمعنى مولاهم الحق ربهم وهذا على العموم فى جميع الخلق بخلاف قوله مولى الذين آمنوا فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولى والناصر (ويأكلون كما تأكل الأنعام) عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم (من قريتك التى أخرجتك) يعنى مكة وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم من وقت الهجرة ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج (أهلكناهم) الضمير للقرى المتقدمة المذكورة فى قوله وكأين من قرية وجمعه حملا على المعنى والمراد

لَهُمْ * أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ * وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

أهلكنا أهلها (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة ويعنى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما يعنى قريشا بقوله كمن زين له سوء عمله واللفظ أعم من ذلك (مثل الجنة) ذكر فى الرعد (غير آسن) أى غير متغير (كمن هو خالد فى النار) تقديره أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد فى النار فحذف هذا على التقدير والمراد به النفى وإنما حذف لدلالة التقدير المتقدم وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه (ومنهم من يستمع إليك) يعنى المنافقين وجاء يستمعون بلفظ الجمع رعيا لمعنى من (قالوا للذين أوتوا العلم) روى أنه عبدالله بن مسعود (ماذا قال آنفا) كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين إما احتقارا لكلامه كأنهم قالوا أى فائدة فيه، وإما جهلا منهم ونسيانا لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه وآنفا معناه الساعة الماضية قريبا وأصله من استأنفت الشىء إذا ابتدأته (والذين اهتدوا زادهم هدى) يعنى المؤمنين والضمير فى زادهم لله تعالى أو للكلام الذى قال فيه المنافقون ماذا قال آنفا وقيل يعنى بالذين اهتدوا قوما من النصارى آمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاهتداؤهم هو إيمانهم بعيسى وزيادة هداهم إسلامهم (فهل ينظرون إلا الساعة) الضمير للمنافقين والمعنى هل ينتظرون إلا الساعة لأنها قريبة (فقد جاء أشراطها) أى علاماتها والذى كان قد جاء من ذلك مبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال أنا من أشراط الساعة وبعثت أنا والساعة كهاتين (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) أى كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة فلا يقدرون على عمل ولا تنفعهم التوبة ففاعل جاءتهم الساعة، وذكراهم مبتدأ وخبره الاستفهام المتقدم والمراد به الاستبعاد (فاعلم أنه لا إله إلا الله) أى دم على العلم بذلك واستدل بعضهم بهذه الآية على أن النظر والعلم قبل العمل لأنه قدم قوله فاعلم على قوله واستغفر (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قيل متقلبكم تصرفكم فى الدنيا، ومثواكم إقامتكم فى القبور وقيل متقلبكم تصرفكم فى اليقظة ومثواكم منامكم (لولا نزلت سورة) كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه (محكمة) يحتمل أن يريد بالمحكمة أى ليس فيها منسوخ، أو يراد متقنة، وقرأ ابن مسعود سورة محدثة (رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك) يعنى

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۝ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ

المنافقين ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتل لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشى عليه (فأولى لهم) فى معناه قولان أحدهما أنه بمعنى أحق وخبره على هذا طاعة والمعنى أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق والآخر أن أولى لهم كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك ويل لهم ومنه أولى لك فأولى ، فيوقف على أولى لهم على هذا القول ويكون طاعة ابتداء كلام ، تقديره طاعة وقول معروف أمثل ، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف ، وقولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم (فإذا عزم الأمر) أسند العزم إلى الأمر مجازا كقولك نهاره صائم وليله قائم (صدقوا الله) يحتمل أن يريد صدق اللسان ، أو صدق العزم والنية وهو أظهر (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ، ليكون أبلغ فى التوبيخ والمعنى هل يتوقع منكم الإفساد فى الأرض وقطع الأرحام إن توليتم ، ومعنى توليتم صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم وعلى هذا قيل إنها نزلت فى بنى أمية وقيل معناه أعرضتم عن الإسلام (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) نزلت فى المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم وقيل نزلت فى قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ثم كفروا به (سول لهم) أى زين لهم ورجاهم ومناهم (وأملى لهم) أى مد لهم فى الأمانى والآمال والفاعل هو الشيطان وقيل الله تعالى والأول أظهر ، لتناسب الضمير بين الفاعلين ، فى سول وأملى (سنطيعكم فى بعض الأمر) قال ذلك اليهود للمنافقين ، وبعض الأمر يعنون به مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته (فكيف إذا توفتهم الملائكة) أى كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة ، يعنى ملك الموت ومن معه ، والفاء رابطة للكلام مع ما قبله والمعنى هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم عند الموت (يضربون وجوههم) ضمير الفاعل للملائكة ، وقيل إنه للكفار أى يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف (أم حسب) الآية : معناها ظن المنافقون أن لن يفضحهم الله والضغن الحقد ويراد به هنا النفاق والبغض فى الإسلام وأهله (ولو نشاء لأريناكهم) أى لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم ولكن الله ستر عليهم إبقاء

أَخْبَارَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۞ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۞ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۞

عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين ، وروى أن الله لم يذكر واحدا منهم باسمه (ولتعرفنهم فى لحن القول) معنى لحن القول مقصده وطريقته وقيل اللحن هو الخفى المعنى كالكناية والتعريض والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم سيعرفهم من دلائل كلامهم ، وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين (ولنبلونكم) أى نختبركم (حتى نعلم) أى نعلمه علما ظاهرا فى الوجود تقوم به الحجة عليكم وقد علم الله الأشياء قبل كونها ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا (وشاقوا الرسول) أى خالفوه وعادوه ، ونزلت الآية فى المنافقين وقيل فى اليهود (ولا تبطلوا أعمالكم) يحتمل أربعة معان أحدها لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان والثانى لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشرى وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات . والثالث لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب ، والرابع لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها ، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية : وبهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها ، وهذا أبعد هذه المعانى ، والأول أظهر لقوله قبل ذلك فى الكفار أو المنافقين ، وسيحبط أعمالهم فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول (فلن يغفر الله لهم) هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد أجمع المسلمون على ذلك (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم) أى لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم بالصلح فهو كقوله « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » (ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم أجور أعمالكم يقال وترت الرجل أتره إذا نقصته شيئا أو أذهبت له متاعا (ولا يسألكم أموالكم) أى لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) معنى يحفكم يلح عليكم والإحفاء أشد السؤال وتبخلوا جواب الشرط (ويخرج أضغانكم) الفاعل الله تعالى أو البخل ، والمعنى يخرج ما فى قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق (هؤلاء) منصوب على التخصيص أو منادى (لتنفقوا فى سبيل الله) يعنى الجهاد والزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما ضرر بخله على نفسه فكأنه بخل على نفسه بالثواب الذى يستحقه بالإنفاق (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) أى يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين فى الإنفاق فى سبيل الله ، فقيل إن هذا الخطاب لقريش ،

سورة الفتح

مدنية نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۞ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ

والقوم غيرهم هم الأنصار وهذا ضعيف لأن الآية مدنية نزلت والأنصار حاضرون ، وقيل الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة والقوم هم أهل اليمن وقيل فارس

سورة الفتح

نزلت هذ السورة حين انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وهما راجعان إلى المدينة ، لقد نزلت علىّ سورة هى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها ، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) يحتمل هذا الفتح فى اللغة أن يكون بمعنى الحكم أى حكمنا لك على أعدائك ، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله «ما يفتح الله للناس من رحمة» أو من فتح البلاد واختلف فى المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال : الأول أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون وذكره بلفظ الماضى لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد ، الثانى أنه ماجرى فى الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية ، شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ، ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة وهذا هو الأصح ، لأنه روى أنها لما نزلت قال بعض الناس ماهذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو أعظم الفتوح قد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح ، ورغبوا إليكم فى الأمان ، الثالث أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها ، الرابع أنه الهداية إلى الإسلام ودليل هذا القول قوله ليغفر الله لك فجعل الفتح علة للمغفرة ولا حجة فى ذلك إذ يتصور فى الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك (هو الذى أنزل السكينة) أى السكون والطمأنينة ، يعنى سكونهم فى صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه الرحمة (الظانين بالله ظن السوء) معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين وقالوا لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وقيل معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به ، والأول أظهر بدليل مابعده (عليهم

السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۞ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ

دائرة السوء) يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء (إنا أرسلناك شاهدا) أى تشهد على أمتك (وتعزروه) أى تعظموه وقيل تنصرونه وقرئ تعزروه بزايين منقوطتين ، والضمير فى تعزروه وتوقروه للنبى صلى الله عليه وسلم وفى تسبحوه لله تعالى ، وقيل الثلاثة لله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) هذا تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله ثم أكد هذا المعنى بقوله « يد الله فوق أيديهم » وذلك على وجه التخييل والتمثيل يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو يد المبايعين له هى يد الله فى المعنى وإن لم تكن كذلك فى الحقيقة وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كعقده مع الله كقوله « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا ونزلت الآية فى بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) يعنى أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) الآية : سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية ، والأعراب هم أهل البوادى من العرب ، لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة يعتمر رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ففضحهم الله فى هذه السورة ، وأعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم ، وأعلمه أنهم كاذبون فى اعتذارهم (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا فى ذلك أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك رياء من غير صدق ولا توبة (قوما بورا) أى هالكين من البوار ، وهو الهلاك ويعنى به الهلاك فى الدين (سيقول المخلفون) الآية : أخبر الله رسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى ، وهى غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا (يريدون أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا

وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم وأراد المخلفون أن يشاركوهم فى ذلك فهذا هو ماأرادوا من التبديل وقيل كلام الله قوله فلن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد الحديبية بمدة (كذلكم قال الله من قبل) يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر (فسيقولون بل تحسدوننا) معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم وهو قوله لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم وأما بل فى قوله تعالى بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا فهى إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) اختلف فى هؤلاء القوم على أربعة أقوال الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر والثانى أنهم الروم إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتالهم فى غزوة تبوك والثالث أنهم أهل الردة من بنى حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والرابع أنهم الفرس ويقوى الأول والثانى بأن ذلك ظهر فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية قال وهذا لا يوجد إلا فى أهل الردة قلت وكذلك هو موجود فى كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوى ذلك أنهم هوازن أو يسلمون عطف على تقاتلونهم وقال ابن عطية هو مستأنف (وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية (ليس على الأعمى حرج) الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض فى تركهم للجهاد لسبب أعذارهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها وفى الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وخمسمائة وسبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ الحديبية وهى موضع على نحو عشرة أميال من مكة أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر وأنه لا يريد حربا فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد وقيل بايعوه على الموت ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما وانعقد الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر فى العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين فر عمر بن الخطاب بالموضع فى خلافته فاختلف الصحابة فى

قَرِيبًا ۞ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۞ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۞ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ

موضعها (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة (وأثابهم فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر وقيل فتح مكة والأول أشهر أى جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة وأما المغانم المذكورة أولا فهى غنائم خيبر وهى المعطوفة على الفتح القريب وأما المغانم الكثيرة التى وعدهم الله وهى المذكورة ثانيا فهى كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة والإشارة بقوله فعجل لكم هذه إلى خيبر وقيل إن المغانم التى وعدهم هى خيبر والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية (وكف أيدى الناس عنكم) أى كف أهل مكة عن قتالكم فى الحديبية وقيل كف اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم بينما خرجتم إلى الحديبية (ولتكون آية للمؤمنين) أى تكون هذه الفعلة وهى كف أيدى الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره فعل الله ذلك لتكون آية (وأخرى لم تقدروا عليها) يعنى فتح مكة، وقيل فتح بلاد فارس والروم وقيل مغانم هوازن فى حنين، والمعنى لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب أخرى عطف على عجل لكم هذه أو مفعول بفعل مضمر تقديره أعطاكم أخرى أو مبتدأ (ولو قاتلكم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (سنة الله) أى عادته والإشارة إلى يوم بدر وقيل الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) روى فى سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية، ليصيبوا من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما، وساقوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم، فكف أيدى الكفار هو أن هزموا وأسروا وكف أيدى المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله (من بعد أن أظفركم عليهم) يعنى من بعدما أخذتموهم أسارى (هم الذين كفروا) يعنى أهل مكة (وصدوكم عن المسجد الحرام) يعنى أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية (والهدى معكوفا أن يبلغ محله) الهدى ما يهدى إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق حينئذ مائة بدنة وقيل سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس ومحله موضع نحره يعنى مكة والبيت وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول فى صدوكم ومعكوفا حال من الهدى، وأن يبلغ مفعول بالعكف فالمعنى صدوكم عن المسجد الحرام، وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله والعكف المذكور يعنى به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين بالهدى بينما ينظرون فى أمورهم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) الآية تعليل لصرف الله

فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ

المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة ، لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم ، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم ، وجواب لولا محذوف تقديره لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم (أن تطئوهم) فى موضع بدل من رجال ونساء أو بدل من الضمير المفعول فى لم تعلموهم والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره (فتصيبكم منهم معرة) أى تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة ، واختلف هل يعنى الإثم فى قتلهم أو الدية أو الكفارة أو الملامة أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين وهذا أظهر لأن قتل المؤمن الذى لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ، ولا عيب ، (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) يعنى رحمة المؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله فى رحمته من يشاء (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا) معنى تزيلوا تميزوا عن الكفار والضمير للمؤمنين المستورين الإيمان أى لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله لعذبنا جواب لو الثانية وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى وكررت لو الثانية تأكيدا (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) يعنى أنفة الكفر وهى منعهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن العمرة ومنعهم من أن يكتب فى كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله وقولهم لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك والعامل فى إذ جعل محذوف تقديره اذكر أو قوله لعذبنا والسكينة هى سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك (وألزمهم كلمة التقوى) قال الجمهور هى لا إله إلا الله وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل لا إله إلا الله والله أكبر وهذه كلها متقاربة وقيل هى بسم الله الرحمن الرحيم التى أبى الكفار أن تكتب (وكانوا أحق بها وأهلها) أى كانوا كذلك فى علم الله وسابق قضائه لهم وقيل أحق بها من اليهود والنصارى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون ، وروى أنه أتاه ملك فى النوم فقال له لتدخلن المسجد الحرام الآية : فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون فى ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون أين الرؤيا ، ووقع فى نفوس المسلمين شىء من ذلك فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أى تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية ثم فتح مكة بعد ذلك ثم حج هو وأصحابه وصدق فى هذا الموضع

ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ هُوَ الَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُ فَـَٔازَرَهُ

يتعدى إلى مفعولين ، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها (إن شاء الله) لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضى الشك فى الأمر ، وذلك محال على الله ، اختلف فى هذا الاستثناء على خمسة أقوال : الأول أنه استثناء قاله الملك الذى رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام فحكى الله مقالته كما وقعت والثانى أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله فى كل أمر مستقبل ، والثالث أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له ، والرابع أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا الدخول المسجد ، والخامس أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله (محلقين رؤسكم ومقصرين) الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة ، والحلق أفضل من التقصير ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله المحلقين ثلاثا ثم قال فى المرة الأخيرة والمقصرين (فعلم مالم تعلموا) يريد ماقدره من ظهور الإسلام فى تلك المدة فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورغب الناس فى الإسلام فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الحديبية فى ألف وخمسمائة وقيل ألف وأربعمائة وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) يعنى فتح خيبر ، وقيل بيعة الرضوان وقيل صلح الحديبية ، وهذا هو الأصح لأن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح هو يارسول الله قال نعم وقيل هو فتح مكة وهذا ضعيف ، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية (ليظهره على الدين كله) ذكر فى براءة (وكفى بالله شهيدا) أى شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه (والذين معه) يعنى جميع أصحابه وقيل من شهد معه الحديبية وإعراب الذين معطوف على محمد رسول الله صفته وأشداء خبر عن الجميع ، وقيل الذين معه مبتدأ وأشداء خبره ورسول الله خبر محمد ورجح ابن عطية هذا والأول عندى أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبى صلى الله عليه وسلم وما أحق النبى صلى الله عليه وسلم بالوصف بذلك لأن الله قال فيه : بالمؤمنين رءوف رحيم ، وقال « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » فهذه هى الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين (سيماهم فى وجوههم) السيما العلامة وفيه ستة أقوال ، الأول أنه الأثر الذى يحدث فى جبهة المصلى من كثرة السجود ، والثانى أنه أثر التراب فى الوجه الثالث أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة ، الرابع حسن الوجه لما ورد فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوى فرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير مروى عنه ، الخامس أنه الخشوع ، السادس أن ذلك يكون فى الآخرة يجعل الله لهم نورا من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهذا بعيد لأن قوله تراهم ركعا سجدا وصف حالهم فى الدنيا فكيف يكون سيماهم فى وجوههم كذلك ، والأول أظهر ، وقد كان يوجه على بن الحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود (ذلك مثلهم فى التوراة) أى وصفهم فيها وتم الكلام

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *

سورة الحجرات

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ

هنا ، ثم ابتدأ قوله ومثلهم فى الإنجيل ، كزرع ، وقيل إن مثلهم فى الإنجيل عطف على مثلهم فى التوراة ثم ابتدأ قوله كزرع وتقديره هم كزرع ، والأول أظهر ، ليكون وصفهم فى التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان وتمثيلهم فى الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك وعلى هذا يكون مثلهم فى الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم فى التوراة (كزرع أخرج شطأه) هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ، ثم قوى وظهر وقيل الزرع مثل للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة واحدة ، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت حول الأصل ، ويقال بإسكان الطاء وفتحها بمد وبدون مد وهى لغات (فآزره) أى قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس لأن كل واحد منهما يقوى الآخر ، وقيل معناه ساواه طولا فالفاعل على هذا الشطأ ووزن آزره فاعله وقيل أفعله ، وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل (فاستغلظ) أى صار غليظا (فاستوى على سوقه) جمع ساق أى قام الزرع على سوقه ، وقيل قوله كزرع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى بن أبى طالب (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار ، وقيل يتعلق بوعد وهو بعيد (منهم) لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عم جميعهم رضى الله عنهم

سورة الحجرات

(لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا فى أمر إلا بنظره والثانى لا تقدموا الولاة بمحضره فإنه يقدم من شاء، والثالث لا تتقدموا بين يديه اذا مشى وهذا إنما يجرى على قراءة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال ، والأول هو الأظهر لأن عادة العرب الاشتراك فى الرأى وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما فعل ذلك قوم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنهاهم الله عن ذلك ، ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قال بين يدى الله لأن النبى صلى الله عليه وسلم إنما يتكلم بوحى من الله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب كرامة له

أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ

وتعظيما وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم (أن تحبط أعمالكم) مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول صلى الله عليه وسلم فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثانى وهو لا تجهر وعند الكوفيين بالأول وهو لا ترفعوا أصواتكم، وهذا الإحباط لأن قلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والتقصير فى توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك وقيل إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف، لقوله فى أولها «يا أيها الذين آمنوا» وقوله وأنتم لا تشعرون فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق فانه يفعله جرأة وهو يقصده (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فانه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أكلمك إلا سرا وكان عمر يخفى كلامه حين يستفهمه النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولفظها مع ذلك على عمومه ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار، فيوجد طيبا، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف وقيل معناه أخلصها الله للتقوى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) الحجرات جمع حجرة وهى قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حجرة ونزلت الآية فى وفد بنى تميم قدموا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا فكان فى فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير فتربص رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس يا محمد إن مدحى زين وذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ذلك الله تعالى (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفى العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفى والأول أظهر فى مقتضى اللفظ والثانى أبلغ فى الذم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) يعنى خيرا فى الثواب وفى انبساط نفس النبى صلى الله عليه وسلم وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم (إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا) سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ زكاتهم فروى أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم إنهم قد منعونى الصدقة وطردونى وارتدوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم ونظر فى ذلك فورد وفدهم منكرين لذلك وروى أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متأهبين له فرآهم على بعد ففزع منهم وظن بهم الشر فانصرف فقال ما قال وروى أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه فانصرف وقال ما قال فالفاسق المشار إليه فى الآية هو الوليد بن عقبة ولم يزل بعد ذلك يفعل

فَتَبَيَّنُوٓا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ

أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم أزيدكم إن شئتم ، ثم هى باقية فى كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر ، وقرئ فتبينوا من التبين وتثبتوا بالثاء من التثبت ويقوى هذه القراءة أنها لما نزلت روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التثبت من الله والعجلة من الشيطان ، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد ، لأن دليل الخطاب يقتضى أن خبر غير الفاسق مقبول ، قال المنذر البلوطى : وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول ، لأن الله أمر بالتبين قبل القبول ، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا (أن تصيبوا قوما بجهالة) فى موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة ، والإشارة إلى قتال بنى المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ماذكر (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لشقيتم ، والعنت المشقة ، وإنما قال لو يطيعكم لم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم ، والحق خلاف ذلك ، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم ، وذلك أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأصوب من رأى غيره ، ولو أطاع الناس فى رأيهم لهلكوا ، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره ، وإلى ذلك الإشارة بقوله «ولكن الله حبب إليكم الإيمان» الآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) اختلف فى سبب نزولها ، فقال الجمهور هو ماوقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبى بن سلول حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه فمال حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى للنبى صلى الله عليه وسلم لقد آذانى نتن حمارك فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد ، وقيل بالحديد ، وقيل سببها أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جهد ثم حكمها باق إلى آخر الدهر وإنما قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا لأن الطائفة فى معنى القوم والناس ، فهى فى معنى الجمع (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى) أمر الله فى هذه الآية بقتال الفئة الباغية ، وذلك إذا تبين أنها باغية فأما الفتن التى تقع بين المسلمين ، فاختلف العلماء فيها على قولين أحدهما أنه لا يجوز النهوض فى شىء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبى وقاص وأبى ذر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وحجتهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال المسلم كفر . وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف فى الفتن ، والقول الثانى أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية ، وهذا قول على وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء ، وحجتهم هذه الآية فإذا فرعنا على القول الأول ، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد ، وإذا فرعنا على القول الثانى فاختلف مع من يكون النهوض فى الفتن فقيل مع السواد الأعظم وقيل مع العلماء ، وقيل مع من يرى أن الحق معه ،

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا

وحكم القتال فى الفتن أن لايجهز على جريح ولا يطلب هارب ، ولا يقتل أسير ولا يقسم فىء (حتى تفىء) أى ترجع إلى الحق (فأصلحوا بين أخويكم) إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغى اثنان ، وقيل أراد بالأخوين الأوس والخزرج ، وقرئ بين إخوتكم بالتاء على الجمع وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا (لايسخر قوم من قوم) نهى عن السخرية وهى الاستهزاء بالناس (عسى أن يكونوا خيراً منهم) أى لعل المسخور منه خير من الساخر عندالله وهذا تعليل للنهى (ولانساء من نساء) لما كان القوم لايقع إلاعلى الذكور عطف النساء عليهم (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لايطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك ، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز فى سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم (ولاتنابزوا بالألقاب) أى لا يدع أحد أحدا بلقب والتنابز بالألقاب التداعى بها وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه اذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد النقص والاستخفاف (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمى مؤمنا ، وفى ذلك ثلاثة أوجه : أحدها استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان ، فمعنى ذلك أن من فعل شيئاً من هذه الأشياء التى نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا ، والآخر بئس مايقوله الرجل الآخر يافاسق بعد إيمانه ، كقولهم لمن أسلم من اليهود يايهودى ، الثالث أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة (اجتنبوا كثيراً من الظن) يعنى ظن السوء بالمسلمين ، وأما ظن الخير فهو حسن (إن بعض الظن إثم) قيل فى معنى الإثم هنا الكذب لقوله صلى الله عليه وسلم الظن أكذب الحديث لأنه قد لايكون مطابقا للأمر ، وقيل إنما يكون إثما إذا تكلم به وأما إذا لم يتكلم به فهو فى فسحة لأنه لايقدر على دفع الخواطر واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع فى الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن ، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازاً من الوقوع فى البعض الذى هو إثم (ولاتجسسوا) أى لاتبحثوا عن مخبآت الناس وقرأ الحسن تحسسوا بالحاء والتجسس بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير ، وقيل التجسس ماكان من وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلام (ولا يغتب بعضكم بعضا) المعنى : لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه والغيبة هى مايكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك ، وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ، قيل يارسول الله وإن كان حقا ، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان وقد رخص فى الغيبة فى مواضع منها فى التجريح فى الشهادة والرواية والنكاح وشبهه وفى التحذير من أهل الضلال

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد فى تقبيحه أن جعله ميتاً لأن الجيفة مستقذرة ويجوز أن يكون ميتاً حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قررهم قال هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أجابوا فقالوا لا نحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكرهوا الغيبة التى هى تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله ، قاله أبو على الفارسى ، وقال الرمانى كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل ، وقال الزمخشرى فى هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتاً ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخاله (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم من آدم وآدم من التراب ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ، وروى أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى بياضة أن يزوجوا أباهند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا موالينا (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون فمضر وربيعة وأمثالهما شعوبا ، وقريش قبيلة ، وبنى عبد مناف بطن ، وبنو هاشم فخذ ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة وبنو عبد المطلب فصيلة . وقيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والأسباط فى بنى إسرائيل ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا (قالت الأعراب آمنا) نزلت فى بنى أسد بن خزيمة وهى قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله فى قولهم آمنا وصدقهم لو قالوا أسلمنا وهذا على أن الايمان هو التصديق بالقلب والاسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح فالإسلام والإيمان فى هذا الموضع متباينان فى المعنى وقد يكونان متفقان وقد يكون الاسلام أعم من الايمان فيدخل فيه الايمان حسبما ورد فى مواضع أخر (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئا من أجور أعمالكم وفيه لغتان يقال لات وعليه قراءة نافع لا يلتكم بغير همز ، ويقال ألت وعليه قراءة من قرأ لا يألتكم بهمزة قبل اللام ، فإن قيل : كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب : أن طاعة

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۞ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞

سـورة ق

مكية إلا آية ٣٨ فمدنية وآياتها ٤٥ نزلت بعد المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا

الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال فالمعنى إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا (ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا فى إيمانهم وفى ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم فى شك وكذلك قوله فى هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا فى قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارا بثبوت إيمانهم فى الأزمنة المتراخية المتطاولة (وجاهدوا) يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (يمنون عليك أن أسلموا) نزلت فى بنى أسد أيضا فإنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) أى هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال إن كنتم صادقين، ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه فى مقابلة يمنون عليك

سـورة ق

تكلمنا على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة ويختص ق بأنه قيل إنه من اسم الله القاهر أو القدير وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم للجبل الذى يحيط بالدنيا (والقرآن المجيد) من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف تقديره ماردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك وعبر عن هذا المحذوف وقع الإضراب بل وقيل الجواب مايلفظ من قول وقيل إن فى ذلك لذكرى وقيل قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) الضمير فى عجبوا لكفار قريش والمنذر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال ولذلك قال تعالى فقال الكافرون أى الكافرون من الناس والصحيح أنه لقريش وقوله قال الكافرون وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر كما تقول جاءنى فلان فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى منهم إنسان مثلهم، وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذى يتضمنه الإنذار وهو

شَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۞ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۞
بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۞ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا
مِنْ فُرُوجٍ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ ۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ
نَضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۞
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۞ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۞ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ
الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ

الحشر ويؤيد هذا ما يأتى بعد (أئذا متنا وكنا ترابا) العامل فى إذا محذوف تقديره أنبعث إذا متنا (ذلك رجع بعيد) الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت ومعنى بعيد أى بعيد الوقوع عندهم وقيل الرجع الجواب أى جوابهم هذا بعيد عن الحق وعلى هذا يكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله تعالى وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار وهو أظهر (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) هذا رد على الكفار فى إنكارهم للبعث معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقيل المعنى قد علمنا ما يحصل فى بطن الأرض من موتاهم والأول قول ابن عباس والجمهور وهو أظهر (وعندنا كتاب حفيظ) يعنى اللوح المحفوظ ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شىء وقيل معناه محفوظ من التغيير والتبديل (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أقبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك وقال ابن عطية هذا الاضراب عن كلام محذوف تقديره ما أجادوا النظر ونحو ذلك (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وغير ذلك من أقوالهم وقيل معناه منكر وقيل ملتبس وقيل مختلط (وزيناها) يعنى بالنجوم (وما لها من فروج) أى من شقوق وذلك دليل على إتقان الصنعة (رواسى) يعنى الجبال (من كل زوج بهيج) أى من كل نوع جميل (ماء مباركا) يعنى المطر كله وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف (حب الحصيد) هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد (باسقات) أى طويلات (طلع نضيد) الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فإذا تفرق فليس بنضيد (كذلك الخروج) تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض (وأصحاب الرس) قوم كانت لهم بئر عظيم وهى الرس بعث إليهم نبى فجعلوه فى الرس ورد موا عليه فأهلكهم الله (وأصحاب الأيكة) يعنى قوم شعيب وقد ذكر (وقوم تبع) ذكر فى الدخان (فحق وعيد) أى حل بهم الهلاك (أفعيينا بالخلق الأول) يقال عيى بالأمر إذا لم يعرف علمه والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة

حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا

وقيل يعنى خلق آدم ، وقيل خلق السموات والأرض ، والأول أظهر ، ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث والهمزة للإنكار (بل هم فى لبس من خلق جديد) أى هم فى شك من البعث وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود (ولقد خلقنا الإنسان) يعنى جنس الإنسان ومعنى توسوس به نفسه تحدثه نفسه فى فكرتها وذلك أخفى الأشياء وقيل يعنى آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة والأول أظهر وأشهر (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) هو عرق كبير فى العنق وهما وريدان عن يمين وشمال وهذا مثل فى فرط القرب ، والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك : مسجد الجامع أو يراد بالحبل العاتق (إذ يتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال ، والتلقى هو تلقى الكلام بحفظه وكتابته ، والعامل فى إذ نحن أقرب ، وقيل مضمر تقديره اذكر واختاره ابن عطية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى قاعد ، وقيل مقاعد بمعنى مجالس ، وردّه ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان ، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان وإنما أفرده وهما اثنان لأن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقال الفراء لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) العتيد الحاضر ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق ، وعموم الآية يقتضى أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك ، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير (وجاءت سكرة الموت بالحق) أى بلقاء الله أو فراق الدنيا ، وفى مصحف عبد الله ابن مسعود : وجاءت سكرة الحق بالموت ، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ، وإنما قال جاءت بالماضى لتحقق الأمر وقربه ، وكذلك مابعده من الأفعال (ذلك ما كنت منه تحيد) أى تفر وتهرب ، والخطاب للإنسان (سائق وشهيد) السائق ملك يسوقه ، وأما الشهيد فقيل ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر ، وقيل صحائف الأعمال ، وقيل جوارح الإنسان (لقد كنت فى غفلة من هذا) خطاب للإنسان الذى يقتضيه قوله : كل نفس ، يريد أنه كان غافلا عما لقى فى الآخرة ، وقيل هو خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أى كنت فى غفلة من هذا القصص وهذا فى غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام (فكشفنا عنك غطاءك) قيل كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة (فبصرك اليوم حديد) أى يبصر مالم يبصره قبل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا (وقال قرينه هذا مالدى عتيد) القرين هنا الشيطان الذى كان يغويه ، وقيل الملك الذى يتولى عذابه فى جهنم ، والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد ، ولقوله

اخر فألقياه في العذاب الشديد * قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد * ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد * يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد * وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد *

نقيض له شيطانا ، فهوله قرين ، ومعنى قوله هذا ما لدي عتيد ، أي هذا الإنسان حاضر لدي أعتده ويسرته لجهنم ، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق ، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدي حاضر ويحتمل أن يكون ما في قوله ، ما لدي ، موصوفة أو موصولة ، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة ، فعتيد بدل منها ، أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وما هي خبر المبتدأ على هذه الوجوه ، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمر (ألقيا في جهنم) الخطاب للملكين السائق والشهيد ، وقيل إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ، ثم أبدل منها ألف أو على أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغة وتأكيدا أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم خليلي وصاحبي وهذا كله تكلف بعيد ، ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله فألقياه في العذاب الشديد (مناع للخير) قيل مناع للزكاة المفروضة والصحيح العموم (مريب) شاك في الدين فهو من الريب بمعنى الشك (الذي جعل) يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره فألقياه وأدخل فيه ألف التضمنه معنى الشرط أو يكون بدلا أو صفة ويكون فألقياه تكرارا للتوكيد (قال قرينه ربنا ما أطغيته) القرين هنا شيطانه الذي وكل به في الدنيا ، بلا خلاف ومعنى ما أطغيته ما أوقعته في الطغيان ، ولكنه طغى باختياره وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال قرينه قبل هذا فإنه عطف (لا تختصموا لدي) خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين (ما يبدل القول لدي) أي قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك ، وقيل معناه لا يكذب أحد لدي لعلمي بجميع الأمور فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته (وتقول هل من مزيد) الفعل مسند إلى جهنم ، وقيل إلى خزنتها من الملائكة ، والأول أظهر واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال ، والأظهر أنه حقيقة وذلك على الله يسير ، ومعنى قولها « هل من مزيد » إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلىء وقيل معناه لا مزيد أي ليس عندي موضع للزيادة فهي على هذا قد امتلأت والأول أظهر وأرجح ، لما ورد في الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يلقى فيها الجبار قدمه ، وفي الحديث كلام ليس هذا موضعه ، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعل وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول (وأزلفت الجنة) أي قربت ثم أكد ذلك بقوله غير بعيد (لكل أواب) أي كثير الرجوع إلى الله فهو من آب يؤوب إذا رجع ، وقيل هو المسبح لله من قوله « يا جبال أوبي معه » (حفيظ) أي حافظ لأوامر الله فيفعلها ولنواهيه فيتركها (من خشي الرحمن بالغيب) أي اتقى الله وهو غائب عن الناس ، فالمجرور في موضع الحال ومن خشي بدل أو مبتدأ ، فإن قيل : كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة ؟ فالجواب : أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه ، قال ذلك الزمخشري : ويحتمل أن يكون

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ * وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ *

الجواب عن ذلك أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذى ليس بصفة كقولنا الله (ولدينا مزيد) قيل معناه النظر إلى وجه الله ، كقوله « الحسنى وزيادة» وقيل يعنى مالم يخطر على قلوبهم كما ورد فى الحديث مما يرويه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (هم أشد منهم بطشا) الضمير فى هم للقرون المتقدمة ، وفى منهم لكفار قريش (فنقبوا فى البلاد) أى طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر ، بمعنى البحث عنه (هل من محيص) أى قالوا هل من مهرب من الله أو من العذاب (لمن كان له قلب) أى قلب واع يعقل ويفهم (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع وهو حاضر القلب (وما مسنا من لغوب) اللغوب الإعياء والتعب (فاصبر على مايقولون) يعنى كفار قريش وغيرهم (وسبح بحمد ربك) يحتمل أن يريد التسبيح باللسان ، أو يريد الصلاة وقد ذكر الزمخشرى فيه الوجهين وقال ابن عطية : معناه صل بإجماع من المتأولين ، وهى على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء ، وقيل هى النوافل (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما : الركعتين بعد المغرب وقال ابن عباس هى النوافل بعد الفرائض ، وقيل الوتر (واستمع) معناه انتظر فهو عامل فى يوم ينادى على أنه مفعول به صريح ، وقيل المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة فعلى هذا لا يكون عاملا فى يوم ينادى فيوقف على استمع والأول أظهر (يوم ينادى المناد من مكان قريب) المنادى هنا إسرافيل الذى ينفخ فى الصور ، وقيل إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق ، وقيل المكان صخرة بيت المقدس ، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة ، وقيل لقربها من السماء ، لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وهذا ضعيف (يوم الخروج) يعنى خروج الناس من القبور (ويوم تشقق) العامل فى هذا الظرف معنى قوله «حشر علينا يسير» أو هو بدل مما قبله (وما أنت عليهم بجبار) أى بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله « لست عليهم بمصيطر » وقيل إخبار بأنه صلى الله عليه وسلم رؤف بهم غير جبار عليهم وهذا أظهر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله «إنما تنذر الذين يخشون ربهم» لأنه لا ينفع التذكير إلا من يخاف

سـورة الذاريات

مكية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الأحقاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَالذَّارِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۞ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞

سـورة الذاريات

(والذاريات ذروا) هى الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى «تذروه الرياح» وانتصب ذروا على المصدرية (فالحاملات وقرا) هى السحاب تحمل المطر والوقر الحمل وهو مفعول به (فالجاريات يسرا) هى السفن تجرى فى البحر وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف ومعناه بسهولة (فالمقسمات أمرا) هى الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرا مفعول به، وقيل إن الحاملات وقرا: السفن، وقيل جميع الحيوان الحامل، وقيل إن الجاريات يسرا: السحاب، وقيل الجوارى من الكواكب والأول أشهر وهو قول على بن أبى طالب (إنما توعدون لصادق) هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث فى الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد (وإن الدين لواقع) الدين هنا الجزاء، وقيل الحساب (والسماء ذات الحبك) أى ذات الطرائق مثل الطرائق التى تكون فى الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حبك الزرع وهى الطرائق التى فيه وقيل الحبك النجوم وقيل زينة السماء وقيل حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة (إنكم لفى قول مختلف) يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر (يؤفك عنه من أفك) معنى يؤفك يصرف، والضمير فى عنه يحتمل أربعة أوجه أحدها أن يكون للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو للقرآن أو للإسلام والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف أى من سبق فى علم الله أنه مصروف. الثانى أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الايمان به من صرف. الثالث أن يكون الضمير للقول المختلف والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الاسلام من قضى الله بسعادته، وهذا القول حسن إلا أن عرف الاستعمال فى أفك ويؤفك إنما هو فى العرف من خير إلى شر وهذا من شر إلى خير. الرابع أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقولهم قاتلك الله، وقيل قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية واللفظ لا يقتضى ذلك وقال الزمخشرى أصله الدعاء بالقتل، ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخراصون الكذابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن والاشارة إلى الكفار، وقيل إلى الكهان والأول أظهر (الذين هم فى غمرة ساهون) الغمرة

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَفِي السَّمَاءِ

مايغطى عقل الانسان وأصله من غمرة الماء والمراد به هنا الجهالة والغفلة عن النظر (يسئلون أيان يوم الدين) أى يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف (يوم هم على النار يفتنون) هذا جواب عن سؤالهم ، ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون ، ومنه قيل للحرة فتين لأن الشمس أحرقت حجارتها ، ويحتمل أن يكون يومهم معربا والعامل فيه مضمر تقديره يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون ، وأن يكون مبنيا لإضافته إلى مبنى ، وعلى هذا يجوز أن يكون فى موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو فى موضع رفع والتقدير هو يوم هم على النار يفتنون (ذوقوا فتنتكم) أى يقال لهم ذوقوا حرقتكم (آخذين ما آتاهم ربهم) بعنى يأخذون فى الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم ، وقيل المعنى آخذين فى الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه ، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) الهجوع النوم وفى معنى الآية قولان : أحدهما وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر فى الصلاة والتضرع والدعاء ، والآخر أنهم كانوا لاينامون بالليل قليلا ولا كثيراً ، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين فأما على القول الأول ففى الإعراب أربعة أوجه : الأول أن يكون قليلا خبر كانوا ومايهجعون فاعل بقليلا ، لأن قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل ، وتكون ما مصدرية ، والتقدير كانوا قليلا هجوعهم من الليل ، والثانى مثل هذا إلا أن ما موصولة والتقدير كانوا قليلا الذى يهجعون فيه من الليل ، والثالث أن تكون ما زائدة ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا يهجعون وقتاً قليلا من الليل ، والرابع مثل هذا إلا أن قليلا صفة لمصدر محذوف ، والتقدير كانوا يهجعون هجوعا قليلا ، وأما على القول الثانى ففى الإعراب وجهان : أحدهما أن تكون ما نافية ، وقليلا ظرف ، والعامل فيه يهجعون ، والتقدير كانوا ما يهجعون قليلا من الليل ، والآخر أن تكون مانافية ، وقليلا خبر كان ، والمعنى كانوا قليلا فى الناس ، ثم ابتدأ بقوله من الليل مايهجعون وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية ، لأن ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه (وبالأسحار هم يستغفرون) أى يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم ، والأسحار آخر الليل ، وقد جاء فى الحديث أن الله تعالى يقول فى الثلث الآخر من الليل : من يستغفرنى فأغفر له ، وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) الحق هنا نوافل الصدقات ، وقيل المراد الزكاة وهذا بعيد لأن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، وقيل إن الآية منسوخة بالزكاة ، وهذا لايحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ، ولا تعارض بين الزكاة والنوافل وتسمية النوافل بالحق كقوله حقا على المحسنين ، وإن كان غير واجب ، وقال بعض العلماء حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية واختلف الناس فى المحروم حتى قال الشعبى أعيانى أن أعلم ماالمحروم ، وقيل المحروم الذى ليس له فى بيت المال سهم ، وقيل الذى أجيحت ثمرته ، وقيل الذى ماتت ماشيته ، وقيل هو الكلب

رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۞ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ فَجَآءَ
بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞
فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۞
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۞ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۞

وهذه أمثلة ، والمعنى الجامع لها أن المحروم الذى حرمه الله المال بأى وجه كان (وفى أنفسكم) إشارة إلى ما فى خلقة الإنسان من الآيات والعبر ، ولقد قال بعض العلماء فيه أن فيه خمسة آلاف حكمة ، وقال بعضهم الإنسان نسخة مختصرة من العالم (وفى السماء رزقكم وما توعدون) معنى فى السماء رزقكم المطر ، وقيل القضاء والقدر ، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل فى السماء ، ولذلك قيل يعنى الجنة والنار . وقيل الخير والشر (إنه لحق) هذا جواب القسم ، والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) أى حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه ، وما زائدة : وقرئ مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق ، والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبنى لإضافته إلى مبنى أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) المراد بالاستفهام فى مثل هذا التفخيم والتهويل ، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط ، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله ، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة والعامل فى إذ دخلوا على هذا: المكرمين ، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكر (فقالوا سلاما) نصب هذا لأنه فى معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ، ورفع الثانى لأنه خبر تقديره أمرى سلام ، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة ، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثانى ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره سلمنا عليك سلاما ، ويرتفع الثانى بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أى لم يعرفهم (قال ألا تأكلون) يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية (فأوجس منهم خيفة) إنما خاف منهم لما لم يأكلوا (وبشروه بغلام عليم) هو إسحاق عليه السلام لقوله « فبشرناها بإسحاق » (فى صرة) أى صيحة ، وذلك قولها ياويلتا أألد وأنا عجوز وهو من صر القلم وغيره إذا صوت ، وقيل معناه فى جماعة من النساء (فصكت وجهها) أى ضربته حياء منهم وتعجبا من ولادتها وهى عجوز (وقالت عجوز عقيم) تقديره قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد أو تقديره أتلد عجوز عقيم (قال فما خطبكم) أى ما شأنكم وخبركم ، والخطب أكثر ما يقال فى الشدائد (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنى قوم سيدنا لوط وقد ذكرنا الحجارة ومسومة فى هود (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها والمراد بالمؤمنين لوط وأهله : أمرهم الله بالخروج

وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۝ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ ۝ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ

من القرية لينجوا من العذاب الذى أصاب أهلها ، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان فى الأحزاب (وفى موسى) معطوف على قوله وفى الأرض آيات للموقنين أوعلى قوله وتركنا فيها آية (فتولى بركنه) معنى تولى أعرض عن الإيمان وركنه سلطانه وقوته (وقالوا ساحر أومجنون) أى قالوا إن موسى ساحر أومجنون : فأو للشك أوللتقسيم ، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا (وهو مليم) أى فعل مايلام عليه يعنى فرعون (الريح العقيم) وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر (كالرميم) أى الفانى المنقطع والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) فيه قولان : أحدهما أن الحين هى الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة والآخر أن الحين من بعد مابعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم ، وعلى هذا يكون فعتوا مترتبا بعد تمتعهم ، وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ماقبله (فأخذتهم الصاعقة) يعنى الصيحة التى صاحها جبريل (وهم ينظرون) أى يعاينونها لأنها كانت بالنهار (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر (وإنا لموسعون) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن معناه قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة ، ومنه على الموسع قدره أى القوى على الإنفاق ، والآخر جعلنا السماء واسعة أوجعلنا بينها وبين الأرض سعة ، والثالث أوسعنا الأرزاق بمطر السماء (فنعم الماهدون) الماهد الموطئ للموضع (ومن كل شىء خلقنا زوجين) أى نوعين مختلفين كالليل والنهار ، والسواد والبياض ، والصحة والمرض وغير ذلك (ففروا إلى الله) أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة وفى اللفظ تحذير وترهيب (أتواصوا به) توقيف وتعجيب أى هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك (فتول عنهم) منسوخ بالسيف (فما أنت بملوم) أى قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قيل معناه خلقتهم لكى آمرهم بعبادتى ، وقيل ليتذللوا لى فإن جميع الإنس والجن متذلل (ماأريد

ٱللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۞ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۞ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۞

سورة الطور

مكية وآياتها ٤٩ نزلت بعد السجدة

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ وَالطُّورِ ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۞ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۞ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۞ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۞ هَٰذِهِ

منهم من رزق) أى ماأريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أى لا أريد أن يطعمون لأنى منزه عن الأكل وعن صفات البشر ، وأنا غنى عن العالمين ، وقيل المعنى ماأريد أن يطعموا عبيدى ، فحذف المضاف تجوزا ، وقيل معناه ما أريد أن ينفعونى لأنى غنى عنهم ، وعبر عن النفع العام بالإطعام ، والأول أظهر (المتين) أى الشديد القوة (فإن للذين ظلموا ذنوبا) الذنوب النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب ، وأصل الذنوب الدلو ، والمراد بالذين ظلموا كفار قريش ، وبأصحابهم من تقدم من الكفار (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون) يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر والأول أرجح لقوله فى المعارج «ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» يعنى يوم القيامة

سورة الطور

(والطور) هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ، وقيل الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل القرآن ، وقيل صحائف الأعمال (فى رق منشور) الرق فى اللغة الصحيفة ، وخصصت فى العرف بما كان من جلد ، والمنشور خلاف المطوى (والبيت المعمور) هو بيت فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه أبدا وبهذا عمرانه ، وهو حيال الكعبة ، وقيل البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين ، والأول أظهر ، وهو قول على وابن عباس (والسقف المرفوع) يعنى السماء (والبحر المسجور) هو بحر الدنيا ، وقيل بحر فى السماء تحت العرش والأول أظهر وأشهر ، ومعنى المسجور المملوء ماء ، وقيل الفارغ من الماء ، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة ، واللغة تقتضى الوجهين : لأن اللفظ من الأضداد ، وقيل معناه الموقد نارا من قولك سجرت التنور ، واللغة أيضا تقتضى هذا ، وروى أن جهنم فى البحر (إن عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم ، ويعنى عذاب الآخرة (يوم تمور السماء مورا) أى تجىء وتذهب ، وقيل تدور ، وقيل تتشقق ، والعامل فى الظرف واقع ودافع أو محذوف (الذين هم فى خوض يلعبون) الخوض التخبط فى الأباطيل شبه بخوض الماء (يوم يدعون) أى يدفعون بتعنيف ، ويوم بدل من الظرف المتقدم (أفسحر هذا) توبيخ للكفار

النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۞ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ۞ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا

على ما كانوا يقولونه فى الدنيا من أن القرآن سحر (أم أنتم لا تبصرون) توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم أى هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذى حل بكم كما كنتم فى الدنيا لا تبصرون الحقائق (اصبروا أولا تصبروا) ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهى عنه وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه فى أن كل واحد من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئاً من العذاب (إنما تجزون ما كنتم تعملون) هذا تعليل لما ذكر من عذابهم ، وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس (فاكهين) يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور (ووقاهم) معطوف على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم ، أو تكون الواو للحال (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا (هنيئاً) صفة لمصدر محذوف تقديره كلوا أكلا هنيئاً ، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره هنأكم الأكل والشرب (بحور عين) الحور : جمع حوراء وهى الشديدة بياض العين وسواد سوادها ، والعين جمع عيناء وهى الكبيرة العينين مع جمالها ، وإنما دخلت الباء فى قوله بحور لأنه تضمن قوله زوجناهم معنى قرناهم ، قاله الزمخشرى وقال إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين أى قرناهم بحور للتلذذ بهن ، وبالذين آمنوا الأنس معهم والأظهر أن الكلام تم فى قوله « بحور عين » ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) معنى الآية ماورد فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال إن الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته فى الجنة ، وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ، فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء ، قيل إن ذلك فى الأولاد الذين ماتوا صغارا ، وقيل على الإطلاق فى الأبناء المؤمنين ، وبإيمان فى موضع الحال من الذرية ، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم فى الإيمان ، وقال الزمخشرى إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا ، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، والأول أظهر ، فإن قيل : لم قال بإيمان بالتنكير ؟ فالجواب : أن المعنى بشىء من الايمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة الآباء ، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيمانا عظيما (وما ألتناهم من عملهم من شىء) أى ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفيناهم أجورهم ، وقيل المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا ، وقيل إنه يعود على الذرية (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرتهن ، فإما أن تنجيه حسناته ، وإما أن تهلكه سيئاته (وأمددناهم بفاكهة) الإمداد هو الزيادة

وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا
إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ
ٱلرَّحِيمُ ۝ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝ قُلْ
تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل
لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ

مرة بعد مرة (يتنازعون فيها كأسا) أى يتعاطونها إذهم جلساء على الشراب (لالغو فيها ولا تأثيم) اللغو الكلام الساقط والتأثيم الذنب فهى بخلاف خمر الدنيا (غلمان لهم) يعنى خدامهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) اللؤلؤ الجوهر، والمكنون المصون، وذلك لحسنه وقيل هو الذى لم يخرج من الصدف (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) أى كنا فى الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف (السموم) أشد الحر وقيل هو من أسماء جهنم (إنا كنا من قبل ندعوه) يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون فى الدنيا قبل لقاء الله (إنه هو البرّ الرحيم) البر الذى يبر عباده ويحسن إليهم، وقرئ أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها على الاستئناف (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون. ومعنى بنعمة ربك: بسبب إنعام الله عليك (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) أم فى هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، وريب المنون حوادث الدهر، وقيل الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة (قل تربصوا) أمر على وجه التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) الأحلام العقول: أى كيف تأمرهم عقولهم بهذا، والاشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ماهم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله أصلاتك تأمرك (أم هم قوم طاغون) أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هى فى هذه المواضع كلها (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول للقرآن (فليأتوا بحديث مثله) رد عليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز (أم خلقوا من غير شىء) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله: الثانى أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات: الثالث أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً (أم هم الخالقون) معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق أم هم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون (أم عندهم خزائن ربك) المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاءوا ويمنعون من شاءوا، ويخصون بالنبوة من شاءوا (أم هم

فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ * فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ *

المصيطرون) أى الأرباب الغالبون ، وقيل المسيطر المسلط القاهر (أم لهم سلم يستمعون فيه) يعنى أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أى بحجة واضحة على دعواهم (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) معناه أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب ، وقيل المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسييب السوائب وشبه ذلك (أم يريدون كيدا) إشارة إلى كيدهم فى دار الندوة بالنبى صلى الله عليه وسلم حيث تشاوروا فى قتله أو إخراجه (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المغلوبون فى الكيد ، والذين كفروا يعنى من تقدم الكلام فيهم وهم كفار قريش فوضع الظاهر موضع المضمر ، ويحتمل أن يريد جميع الكفار (أم لهم إله غير الله) المعنى هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه وحصر الله فى هذه الآية جميع المعانى التى توجب التكبر والبعد من الدخول فى الإسلام ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء ، فالمعنى أنهم لو رأوا الكسف ساقطا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم : أى كثيف بعضه فوق بعض (فذرهم) منسوخ بالسيف (يومهم الذى فيه يصعقون) يعنى يوم القيامة والصعقة فيه هى النفخة الأولى ، وقيل غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله فى المعارج عن يوم القيامة « ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » ، (عذابا دون ذلك) يعنى قتلهم يوم بدر وقيل الجوع بالقحط ، وقيل عذاب القبر (واصبر لحكم ربك) أى اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نريك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه قول سبحان الله ، ومعنى حين تقوم من كل مجلس ، وقيل أراد حين تقوم وتقعد ، وفى كل حال وجعل القيام مثالا : الثانى أنه الصلوات النوافل ؛ والثالث أنه الصلوات الفرائض ، فحين تقوم الظهر والعصر : أى حين تقوم من نوم القائلة ، ومن الليل المغرب والعشاء ، وإدبار النجوم : الصبح ومن قال هى النوافل جعل إدبار النجوم ركعتى الفجر

سـورة النجم

مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢ نزلت بعد الإخلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞

سـورة النجم

(والنجم إذا هوى) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم ، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة ، الثانى أنه جنس النجوم ، ومعنى هوى كما ذكرنا أو انقضت ترجم الشياطين . الثالث أنه من نجوم القرآن وهى الجملة التى تنزل ، وهوى على هذا معناه نزل ، (ما ضل صاحبكم وما غوى) هذا جواب القسم ، والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبى صلى الله عليه وسلم فنفى عنه الضلال والغىّ ، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغىّ بقصد وتكسب (وما ينطق عن الهوى) أى ليس يتكلم بهواه وشهوته إنما يتكلم بما يوحى الله إليه (إن هو إلا وحى يوحى) يعنى القرآن (علمه شديد القوى) ضمير المفعول للقرآن أو للنبى صلى الله عليه وسلم ، والشديد القوى : جبريل ، وقيل الله تعالى ، والأول أرجح لقوله «ذى قوة عند ذى العرش» والقوى جمع قوة (ذومرة) أى ذو قوة ، وقيل ذو هيئة حسنة ، والأول هو الصحيح فى اللغة (فاستوى) أى استوى جبريل فى الجو إذ رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو بحراء ، وقيل معنى استوى ظهر فى صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحى ، وكان ينزل فى صورة دحية (وهو بالأفق الأعلى) الضمير لجبريل وقيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أصح (ثم دنى فتدلى) الضميران لجبريل أى دنا من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فى الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب مقدار المسافة أى كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام فى القرب بمقدار قوسين عربيتين ، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر ، وقيل من الوتر إلى العود ، وقيل ليس القوس التى يرمى بها ، وإنما هى ذراع تقاس بها المقادير ذكره الثعلبى وقال إنه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل قاب قوسين ثم حذفت هذه المضافات ، ومعنى أو أدنى أو أقرب وأو هنا مثل قوله أو يزيدون وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى ، وهذا الذى ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح ، وقد ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح ، وقيل إنها لله تعالى ، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلى وغير ذلك (فأوحى إلى عبده ما أوحى) فى هذه الضمائر ثلاثة أقوال : الأول أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى . الثانى

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ * إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، وعاد الضمير على الله في القولين لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره، فهو كقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر. الثالث أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، وفي قوله ما أوحى إبهام مراد يقتضي التفخيم والتعظيم (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بعينه بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق والذي رأى هو جبريل يعني حين رآه بمقدار ملأ الأفق، وقيل رأى ملكوت السموات والأرض، والأول أرجح لقوله «ولقد رآه نزلة أخرى» وقيل الذي رآه هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نوراني أراه (أفتمارونه على ما يرى) هذا خطاب لقريش، والمعنى أتجادلونه على ما يرى، وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى (ولقد رآه نزلة أخرى) أي لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء، وقيل ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت من زعم أن محمداً رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى (عند سدرة المنتهى) هي شجرة في السماء السابعة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة، وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهي علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى وقيل سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقى عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل، ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى (عندها جنة المأوى) يعني أن الجنة التي وعدها الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر (إذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه إبهام لقصد التعظيم، قال ابن مسعود غشيها فراش من ذهب، وقيل كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فغشيها ألوان لا أدري ما هي، وهذا أولى أن تفسر به الآية (ما زاغ البصر وما طغى) أي ما زاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب بل أثبتها وتيقنها، وما طغى: أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك. ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه، والمعنى يختلف على ذلك (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هذه أوثان كانت تعبد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية، فأما اللات فصنم كان بالطائف، وقيل كان بالكعبة، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف، وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها، وقيل كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري الأخرى ذم وتحقير أي المتأخرة

بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ۝ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ

الوضيعة القدر ، ومنه وقالت أخراهم لأولاهم (ألكم الذكر وله الأنثى) كانوا يقولون إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله ، فأنكر الله عليهم ذلك أى كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور ، وتجعلون لله البنات التى هى عندكم حقيرة بغيضة ، وقد ذكر هذا المعنى فى النحل وغيرها ، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث ، والإناث حقيرة بغيضة عندهم (تلك إذا قسمة ضيزى) أى هذه القسمة التى قسمتم جائرة غير عادلة يعنى جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ، ولكنها كسرت لأجل الياء التى بعدها (إن هى إلا أسماء سميتموها) الضمير للأوثان ، وقد ذكر هذا المعنى فى الأعراف فى قوله أتجادلونني فى أسماء (إن يتبعون إلا الظن) يعنى أنهم يقولون أقوالا بغير حجة كقولهم إن الملائكة بنات الله ، وقولهم إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك (أم للإنسان ما تمنى) أم هنا للإنكار ، والانسان هنا جنس بنى آدم : أى ليس لأحد ما يتمنى بل الأمر بيد الله وقيل إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام وقيل إلى قول العاصى بن وائل : لأوتين مالا وولدا ، وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا ، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه (وكم من ملك فى السموات) الآية : رد على الكفار فى قولهم إن الأوثان تشفع لهم كأنه يقول الملائكة الكرام لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله فكيف أوثانكم (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة فيه ويرضى عنه (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) يعنى قولهم إن الملائكة بنات الله ، ثم رد عليهم بقوله وما لهم به من علم (ذلك مبلغهم من العلم) أى إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع فى الدنيا ، ولم يعلموا ما ينفع فى الآخرة (ليجزى) اللام متعلقة بمعنى ما قبلها ، والتقدير أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ، وقيل يتعلق بضل واهتدى (كبائر الإثم) ذكرنا الكبائر فى النساء (إلا اللمم) فيه أربعة أقوال : الأول أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع . الثانى أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها . الثالث أنه ما ألموا به فى الجاهلية من الشرك والمعاصى : الرابع أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل (أجنة) جمع جنين (فلا تزكوا أنفسكم) أى لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير ، قال ابن

فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى * أفرأيت الذى تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما فى صحف موسى * وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عادا

عطية : ويحتمل أن يكون نهى عن أن يزكى بعض الناس بعضا وهذا بعيد لأنه تجوز التزكية فى الشهادة وغيرها (أفرأيت الذى تولى) الآية : نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقيل نزلت فى العاصى بن وائل (وأكدى) أى قطع العطاء وأمسك (وإبراهيم الذى وفى) قيل وفى طاعة الله فى ذبح ولده ، وقيل وفى تبليغ الرسالة ، وقيل وفى شرائع الإسلام ، وقيل وفى الكلمات التى ابتلاه الله بهن ، وقيل وفى هذه العشر الآيات (ألا تزر وازرة وزر أخرى) ذكر فيما تقدم ، وهذه الجملة تفسير لما فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) السعى هنا بمعنى العمل ، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره ، وهى حجة لمالك فى قوله لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام ، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه ، واختلفوا فى الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله «ألحقنا بهم ذريتهم» والصحيح أنها محكمة لأنها خبر والأخبار لا تنسخ وفى تأويلها ثلاثة أقوال : الأول أنها إخبار عما كان فى شريعة غيرنا فلا يلزم فى شريعتنا الثانى أن الإنسان ماعمل بحق وله ماعمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية فى إثبات الحقيقة دون مازاد عليها الثالث أنها فى الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد ، ويدل على هذا قوله بعدها «ألا تزرو وازرة وزر أخرى» وكأنه يقول لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه (وأن سعيه سوف يرى) قيل معناه يراه الخلق يوم القيامة ، والأظهر أنه صاحبه لقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره» (وأن إلى ربك المنتهى) فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير فى الآخرة ، والآخر أن معناها أن العلوم تنتهى إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فكرة فى الرب (وأنه هو أضحك وأبكى) قيل معناه أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار ، وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات ، وهذا مجاز وقيل خلق فى بنى آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده ، وأسر من شاء (وأمات وأحيا) يعنى الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول أرجح ، لأنه حقيقة (من نطفة) يعنى المنى (إذا تمنى) من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه المنى (النشأة الأخرى) يعنى الإعادة للحشر وتمنى يعنى أكسب عباده المال ، وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى أقنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة ، وقيل معناه أرضى وقيل قنع عبده (الشعرى) نجم فى السماء وتسمى كلب الجبار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن

ٱلْأُولَىٰ ۝ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ ۝ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۝

سورة القمر

مكية إلا الآيات ٤٤ و٤٥ و٤٦ فمدنية وآياتها ٥٥ نزلت بعد الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝

بعض العرب كان يعبدها (عادا الأولى) وصفها بالأولى لأنها كانت فى قديم الزمان ، فهى الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة ، وقيل إنما سميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح وقرأ نافع عادا الاولى بإدغام تنوين عاد فى لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام وضعف المزنى والمبرد هذه القراءة وهمز قالون الأولى دون ورش وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عادا وإسكان لام الأولى (وثمود فما أبقى) أى ما أبقى منهم أحدا وقيل ما أبقى عليهم (والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى) هى مدينة قوم لوط ، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل وفى قوله ما غشى تعظيم للأمر (فبأى آلاء ربك تتمارى) هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأى نعم ربك تشك (هذا نذير من النذر الأولى) يعنى القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة (كاشفة) يحتمل لفظه ثلاثة أوجه : أن يكون مصدرا كالعافية أى ليس لها كشف وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة وأن يكون صفة لمحذوف تقديره نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويحتمل معناه وجهين: أحدهما أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة أى ليس لها من يزيلها إذا وقعت والآخر أن يكون بمعنى الاطلاع أى ليس لها من يعلم وقتها إلا الله (أفمن هذا الحديث تعجبون) الإشارة إلى القرآن وتعجبهم منه إنكاره (وأنتم سامدون) أى لاعبون لاهون ، وقيل غافلون مفرطون (فاسجدوا لله واعبدوا) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره ، وقد قال ابن مسعود قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد وسجد كل من كان معه

سورة القمر

(اقتربت الساعة) أى قربت القيامة ، ومعنى قربها أنها بقى لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى (وانشق القمر) هذا إخبار بما جرى فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر فقال صلى الله عليه وآله وسلم اشهدوا ، وقال ابن مسعود انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه ، وقيل معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة ، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر ، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) هذه الضمائر لقريش والآية المشار إليها انشقاق القمر وعند ذلك قالت

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ۞ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۞ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
النُّذُرُ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ۞ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ
مُنْتَشِرٌ ۞ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا
وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ
كَانَ كُفِرَ ۞ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

قريش سحر محمد القمر ومعنى مستمر دائم وقيل معناه ذاهب يزول عن قريب وقيل شديد وهو على هذا المعنى من المرة وهى القوة (وكل أمر مستقر) أى كل شىء لابد له من غاية فالحق يحق والباطل يبطل (ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر) الأنباء هنا يراد بها ماورد فى القرآن من القصص والبراهين والمواعظ ومزدجر اسم مصدر بمعنى الازدجار أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به (حكمة بالغة) بدل من مافيه أو خبر ابتداء مضمر (فما تغن النذر) يحتمل أن تكون مانافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار (فتول عنهم) أى أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لاينفعهم (يوم يدع الداع إلى شىء نكر) العامل فى يوم مضمر تقديره اذكر أو قوله يخرجون بعد ذلك وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى فقدتم الكلام فى قوله تول عنهم فيوقف عليه وقيل المعنى تول عنهم أى يوم يدع الداع والأول أظهر وأشهر والداعى جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ فى الصور والشىء النكر الشديد الفظيع وأصله من الإنكار أى هو منكور لأنه لم يرقط مثله والمراد به يوم القيامة (خشعا أبصارهم) كناية عن الذلة وانتصب خشعا على الحال من الضمير فى يخرجون (يخرجون من الأجداث) أى من القبور (كأنهم جراد منتشر) شبههم بالجراد فى خروجهم من الأرض فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات وقيل إنما شبههم بالجراد فى كثرتهم وأن بعضهم يموج فى بعض (مهطعين) أى مسرعين وقيل ناظرين إلى الداع (فكذبوا عبدنا) يعنى نوح عليه السلام ووصفه هنا بالعبودية تشريفا له واختصاصا (وازدجر) أى زجروه بالشتم والتخويف وقالوا له لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر) أى قد غلبنى الكفار فانتصر لى أو انتصر لنفسك، وقالت المتصوفة معناه قد غلبتنى نفسى حين دعوت على قومى فانتصر منى وهذا بعيد ضعيف (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) عبارة عن كثرة المطر فكأنه يخرج من أبواب، وقيل فتحت فى السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض (على أمر قد قدر) أى قد قضى فى الأزل ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار معلوم، وروى فى ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا (وحملناه على ذات ألواح ودسر) يعنى السفينة والدسر هى المسامير واحدها دسار، وقيل هى مقادم السفينة، وقيل أضلاعها والأول أشهر (تجرى بأعيننا) عبارة عن حفظ الله ورعيه لها (جزاء لمن كان كفر) أى جزاء لنوح: وقيل جزاء لله تعالى والأول أظهر وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله والعامل فيه ماتقدم من فتح أبواب السماء ومابعده من الأفعال

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۞ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۞ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۞ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۞ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۞ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَ

أي جعلنا ذلك كله جزاء لنوح ويحتمل أن يكون قوله كفر من الكفر بالدين والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة لأن نوحا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى الضمير المحذوف (ولقد تركناها آية) الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة وروى في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) تحضيض على الادكار فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده ووزن مدكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال (فكيف كان عذابي ونذر) توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي يسرناه للحفظ وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا بخلاف غيره من الكتب وقد روى أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن وقيل معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله فذوقوا عذابي ونذر لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة تختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله فكيف كان عذابي ونذر ومن الملاطفة في قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (ريحا صرصرا) أي مصوتة فهو من الصرير يعني الصوت وقيل معناه باردة فهو من الصر (يوم نحس مستمر) روي أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر (تنزع الناس) أي تقلعهم من مواضعهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أعجاز النخل هي أصولها والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل وقيل كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس فشبههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان وقيل كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها (أبشر) هو صالح عليه السلام، وانتصب بفعل مضمر والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون (وسعر) أي عناد، وقيل معناه جنون، وقيل معناه هم وغم وأصله من السعير بمعنى النار وكأنه احتراق النفس بالهم (أألقي الذكر عليه من بيننا) أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (أشر) بطر متكبر (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة فالضمير في نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض (كل شرب محتضر) أي مشهود (فنادوا صاحبهم) يعني عاقر الناقة واسمه قدار

كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ * إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ * نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ * كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ * إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ * وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ * إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ

وهو أحيمر ثمود وأشقاها (فتعاطى) أى اجترأ على أمر عظيم ، وهو عقر الناقة وقيل تعاطى السيف (صيحة واحدة) صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم هو ماتكسر وتفتت من الشجر وغيرها والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وهى حائط من الأغصان أو القصب ونحو ذلك ، أو يكون تحليقا للمواشى أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها ، وقيل المحتظر المحترق (حاصبا) ذكر فى العنكبوت (فتماروا بالنذر) تشككوا (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه وكان قومه قد ظنوا أنهم من بنى آدم وأرادوا منهم الفاحشة فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم ، وقيل إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا (أكفاركم خير من أولائكم) هذا خطاب لقريش على وجه التهديد والهمزة للإنكار ومعناه : هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم ، بل الذى أهلكهم يهلككم (أم لكم براءة فى الزبر) معناه أم لكم فى كتاب الله براءة من العذاب (أم يقولون نحن جميع منتصر) أى نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال (سيهزم الجمع ويولون الدبر) هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة (إن المجرمين فى ضلال وسعر) المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم فى الدنيا ، والسعر لهم فى الآخرة وهو الاحتراق ، وقيل أراد بالمجرمين القدرية لقوله فى الرد عليهم إنا كل شىء خلقناه بقدر والأول أظهر (يسحبون فى النار) أى يجرون فيها (إنا كل شىء خلقناه بقدر) المعنى أن الله خلق كل شىء بقدر أى بقضاء معلوم سابق فى الأزل ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار فى هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية وانتصب كل شىء بفعل مضمر يفسره خلقناه (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله والواحدة يراد بها الكلمة وهى

فى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝

سورة الرحمٰن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِى ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ ۝ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن

قوله كن (ولقد أهلكنا أشياعكم) يعنى أشياعكم من الكفار (وكل شىء فعلوه فى الزبر) أى كل مافعلوه مكتوب فى صحائف الأعمال (مستطر) أى مكتوب وهو من السطر تقول سطرت واستطرت بمعنى واحد والمراد الصغير والكبير من أعمالهم وقيل جميع الأشياء (ونهر) يعنى أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس (فى مقعد صدق) أى فى مكان مرضى

سورة الرحمن عز وجل

(الرحمن علم القرآن) هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن وقيل معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التى بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف (خلق الإنسان) قيل جنس الناس وقيل يعنى آدم وقيل يعنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا دليل على التخصيص والأول أرجح (علمه البيان) يعنى النطق والكلام (الشمس والقمر بحسبان أى يجريان فى الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر وفى ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير (والنجم والشجر يسجدان) النجم عند ابن عباس النبات الذى لا ساق له كالبقول ، والشجر النبات الذى له ساق وقيل النجم جنس نجوم السماء ، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى وقيل سجود الشمس غروبها وسجود الشجر ظله (ووضع الميزان) يعنى الميزان المعروف الذى يوزن به الطعام وغيره وكرر ذكره اهتماما به وقيل أراد العدل (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوا إذا وزنتم (للأنام) أى للناس وقيل الإنس والجن وقيل الحيوان كله الأكمام يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطى ويلف النخل من الليف وبه شبه كم القميص أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الريحان المعروف وقيل كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل هو الرزق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الآلاء هى النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل إلى على وزن قضى وقيل ألى على وزن أمد أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله سنفرغ لكم أيها الثقلان روى أن هذه الآية لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أصحابه فقال جواب الجن خير من سكوتكم إنى لما قرأتها على الجن قالوا لا نكذب بشىء من آلاء ربنا وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة وقيل إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التى قبله فليس

نَّارٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الإنسان هو آدم والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار (وخلق الجان من مارج من نار) الجان الجن يعنى إبليس والدا الجن والمارج اللهيب المضطرب من النار (رب المشرقين ورب المغربين) يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب الشمس والقمر وقيل مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين يلتقيان) ذكر فى الفرقان، أى يلتقى ماء هذا وماء هذا وذلك إذا نزل المطر فى البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار فى البحر، وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن فضعيف لقوله فى الفرقان «هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج» وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين فى هذه السورة ما أراد فى الفرقان (بينهما برزخ) أى حاجز يعنى جرم الأرض، أو حاجز من قدرة الله (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل لا يبغيان على الناس بالفيض (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره، وقيل بالعكس وقيل إن المرجان أحجار حمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وأما قوله منهما ولا يخرج إلا من أحدهما، فقد تكلمنا عليه فى فاطر (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) يعنى السفن وسماها منشآت لأن الناس ينشؤنها، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، والأعلام الجبال شبه السفن بها (كل من عليها فان) الضمير فى عليها للأرض يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر ويعنى بمن عليها بنى آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة الذات لأن من أسمائه تعالى الجليل ومعناه يقرب من معنى العظيم» وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال «ولقد كرمنا بنى آدم» أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته (يسأله من فى السموات والأرض) المعنى أن كل من فى السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال، وهم المؤمنون ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه (كل يوم هو فى شأن) المعنى أنه تعالى يتصرف فى ملكوته تصرفا يظهر فى كل يوم من العطاء والمنع، والإماتة والإحياء وغير ذلك وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقيل له وما ذلك الشأن، قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وسئل بعضهم كيف قال كل يوم هو فى شأن والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال هو فى شأن يبديه لا فى شأن يبتديه (سنفرغ لكم أيه الثقلان) معناه الوعيد كقولك لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك وليس المراد التفرغ من

تُكَذِّبَانِ ۞ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِي وَالْأَقْدَامِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۞

شغل ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا ، وإنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر بن محمد سمى الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة أى إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا ، وروى أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة ، قد أحاطت بالأرض فيرجعون وقيل بل خوطبوا بذلك فى الدنيا والمعنى إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا وقوله فانفذوا أمر يراد به التعجيز (لا تنفذون إلا بسلطان) أى لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) الشواظ لهيب النار والنحاس الدخان وقيل هو الصفر يذاب ويصب على رؤسهم وقرئ شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقرئ نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار (فإذا انشقت السماء) جواب إذا قوله فيومئذ وقال ابن عطية جوابها محذوف (فكانت وردة كالدهان) معنى وردة حمراء كالوردة ، وقيل هو من الغرس الورد ، قال قتادة السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء ، والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول ، وقيل يشبه لمعانها بلمعان الدهن ، وقيل إن الدهان هو الجلد الأحمر (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) السؤال المنفى هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة فى صحائفهم ، وأما السؤال الثابت فى قوله : فوربك لنسألنهم أجمعين وغيره ، فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفى والمثبت وقيل : إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن (يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بعلاماتهم وهى سواد الوجوه وغير ذلك ، والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قيل معناه : يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه ، وقيل بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح فى النار (يطوفون بينها وبين حميم آن) الحميم الماء السخن والآن الشديد الحرارة ، وقيل الحاضر من قولك آن الشىء إذا حضر والأول أظهر (ولمن خاف مقام ربه جنتان) مقام ربه القيام بين يديه للحساب ومنه يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقيل قيام الله بأعماله ، ومنه أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، وقيل معناه لمن خاف ربه وأقحم المقام ، كقولك خفت جانب فلان واختلف

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَآمَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ

هل الجنتان لكل خائف على انفراده ، أو للصنف الخائف وذلك مبنى على قوله لمن خاف مقام ربه هل يراد به واحد أو جماعة ، وقال الزمخشرى : إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين فكأنه قال جنة للإنس وجنة للجن ، (ذواتا أفنان) ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات ، قاله ابن عطية ، والأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها (من كل فاكهة زوجان) أى نوعان (وجنا الجنتين دان) الجنا هو ما يجتنى من الثمار ودان قريب ، وروى أن الإنسان يجتنى الفاكهة فى الجنة على أى حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع لأنها تتدلى له إذا أرادها وفى قوله جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس (قاصرات الطرف) ذكر فى الصافات (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) ، المعنى أنهن أبكار ، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن ، وقيل الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها ، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان ، مبالغة وقصدا للعموم فكأنه قال لم يطمثهن شىء ، وقيل أراد لم يطمث نساء الإنس إنس ولم يطمث نساء الجن جن ، وهذا القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ البشر (كأنهن الياقوت والمرجان) شبه النساء بالياقوت والمرجان فى الحمرة والجمال ، وقد ذكرنا المرجان فى أول السورة ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة ، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذى سأل عنه جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلى ، وجعل جنتين دونهما لمن كان دون ذلك ، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجنتان المذكورتين ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد فى الواقعة ، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين ، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما فقال : هنا عينان تجريان وقال فى الآخرتين عينان نضاختان ، والجرى أشد من النضخ وقال هنالك من كل فاكهة زوجان ، وقال هنا فاكهة ونخل ورمان ، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك وكذلك صفة البسط ويفسر ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وكل مافيهما وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما (مدهامتان) أى تضربان إلى السواد من شدة الخضرة (عينان نضاختان) أى تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة (فاكهة ونخل

مَّقْصُورَاتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝

سـورة الواقعة

مكية إلا آيتى ٨١ و٨٢ فمدنيتان وآياتها ٩٦ نزلت بعد طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَـٰذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَـٰثَةً ۝ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝

ورمان) خص النخل والرمان بالذكر بعدد خولهما فى الفاكهة تشريفا لهما وبيانا لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد (خيرات حسان) خيرات جمع خيرة وقال الزمخشرى وغيره أصله خيرات بالتشديد ثم خفف كميت وقرئ بالتشديد، قالت أم سلمة يارسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه (حور مقصورات فى الخيام) الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج والخيام هى البيوت التى من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ (متكئين على رفرف خضر) الرفرف البسط، وقيل الوسائد وقيل رياض الجنة (وعبقرى حسان) العبقرى الطنافس، وقيل الزرابى، وقيل الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقر وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبتها شىء نسبته إليه (تبارك اسم ربك) ذكر تبارك فى الفرقان وغيرها والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر وقرأ الجمهور ذى الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذى الجلال والإكرام.

سـورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا ولما حضرت ابن مسعود الوفاة قيل له ما تركت لبناتك، قال: تركت لهن سورة الواقعة (إذا وقعت الواقعة) يعنى إذا قامت القيامة فالواقعة اسم من أسماء القيامة، تدل على هولها كالطامة والصاخة وقيل الواقعة الصيحة وهى النفخة فى الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس، تقع يوم القيامة وهذا بعيد (ليس لوقعتها كاذبة) يحتمل ثلاثة أوجه: الأول أن تكون الكاذبة مصدرا كالعافية والمعنى ليس لها كذب ولا رد. الثانى أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال ليس لها حالة كاذبة أى هى صادقة الوقوع ولا بد وهذا المعنى قريب من الأول. الثالث أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أى تكذيب فى إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ (خافضة رافعة) تقديره هى خافضة رافعة، فينبغى أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة، وقيل ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق والأرض تتزلزل وتمر والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت وحركت تحريكا شديدا وإذا هنا بدل من إذا

وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝
ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا

وقعت ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة (وبست الجبال بساً) أى فتتت وقيل سيرت (هباء منبثا) الهباء مايتطاير فى الهواء من الأجزاء الدقيقة ، ولا تكادترى إلا فى الشمس إذادخلت على كوة قاله ابن عباس وقال على بن أبى طالب هو ماتطاير من حوافر الدواب من التراب ، وقيل ماتطاير من شرر النار ، فإذا طفى لم يوجد شيئاً والمنبث المتفرق (وكنتم أزواجاً ثلاثة) هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة وهم السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلا فى الجنة ، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة ، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم ، كقولك زيد مازيد ، والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال ، واليد الشؤمى هى الشمال وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال ، أولأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين ، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال (والسابقون السابقون) الأول مبتدأ والثانى خبره على وجه التعظيم كقولك أنت أنت أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة ، وقيل إن السابقون الثانى صفة للأول أو تأكيد ، والخبر أولئك المقربون ، والأرجح أن يكون الثانى خبر الأول لأنه فى مقابلة قوله أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، وعلى هذا يوقف على السابقون الثانى ويبتدئ بما بعده (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الثلة الجماعة من الناس ، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين ، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة ، والدليل على ذلك ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفرقتان فى أمتى وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم فكثر السابقون من السلف الصالح ، وقلوا بعد ذلك ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وقيل إن الفرقتين فى أمة كل نبى فالسابقون فى كل أمة يكثرون فى أولها ويقلون فى آخرها ، وقيل إن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة والآخرين هم هذه الأمة فيقتضى هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد ، وقيل إن السابقين يراد بهم الأنبياء ، لأنهم كانوا فى أول الزمان أكثر مما كانوا فى آخره (على سرر موضونة) السرر جمع سرير والموضونة المنسوجة وقيل المشبكة بالدر والياقوت ، وقيل معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض (متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض (ولدان مخلدون) الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون ، وقيل المقرطون بالخلدات وهى ضرب من الإفراط ، والأول أظهر (بأكواب وأباريق) الأكواب جمع كوب وهو الإناء وهو الذى لا أذن له ولا خرطوم يمسك به والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذى له خرطوم أو أذن يمسك (وكأس من معين) ذكر فى الصافات

يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۞ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۞ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۞
إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِّنَ

لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لا يلحق رءوسهم الصداع الذى يصيب من خمر الدنيا وقيل لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ، ومعنى لا ينزفون لا يسكرون (وفاكهة مما يتخيرون) قيل يتخيرون ما شاؤا لكثرتها ، وقيل مخيرة مرضية (وحور عين) قدمنا معناه ، وقرئ بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير فى متكئين ، أو على ولدان ، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال ينعمون بهذا كله وبحور عين ، وقيل خفض على الجوار (كأمثال اللؤلؤ المكنون) شبههن باللؤلؤ فى البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه وسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدى (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما) اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره (إلا قيلا سلاما سلاما) انتصب سلاما على أنه بدل من قيلا أو صفة له أو مفعول به لقيلا ، لأن معناه قولا ، ومعنا السلام على هذا التحية ، والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام ، ويحتمل أن يكون معناه السلامة ، فينتصب بفعل مضمر تقديره أسلموا سلاما (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده ويحتمل أن يكون الخبر فى سدر ، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا ، والأول أحسن ، وكذلك إعراب أصحاب الشمال (فى سدر مخضود) السدر شجر معروف ، قال ابن عطية هو الذى يقال له شجر أم غيلان وهو كثير فى بلاد المشرق وهى فى بعض بلاد الأندلس دون بعض والمخضود الذى لا شوك له كأنه خضد شوكه ، وذلك أن سدر الدنيا له شوك ، فوصف سدر الجنة بضد ذلك وقيل المخضود هو الموقر الذى انثنت أغصانه من كثرة حمله فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه (وطلح منضود) الطلح شجر عظيم كثير الشوك ، قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو شجر الموز ، وحكى ابن عطية هذا عن على بن أبى طالب وابن عباس وقرأ على بن أبى طالب وطلع منضود بالعين فقيل له إنما هو وطلح بالحاء فقال ما للطلح والجنة فقيل له أنصلحها فى المصحف فقال المصحف اليوم لا يغير ، والمنضود الذى تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق (وظل ممدود) أى منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود وماء مسكوب : أى مصبوب ، وذلك عبارة عن كثرته وقيل المعنى أنه جار فى غير أخاديد ، وقيل المعنى أنه يجرى من غير ساقية ولا دلو ولا تعب (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا ، فإن شجر الجنة يثمر فى كل وقت ولا تمتنع ببعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع (وفرش مرفوعة) هى الأسرة ، وقد روى ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام وقيل هى النساء وهذا بعيد (إنا أنشأناهن) الضمير لنساء الجنة ، فإن سياق الكلام يقتضى ذلك ، وإن لم يتقدم ذكرهن ولكن تقدم ذكر الفرش

الْأَخِرِينَ ۝ وَأَصْحَٰبُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ الشِّمَالِ ۝ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ۝ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ ءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْءَاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّآلُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ۝ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم

وهى تدل على النساء وأما من قال إن الفرش هى النساء فالضمير عائد عليها وقيل يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا وذلك بعيد فإن ذلك فى وصف جنات السابقين ، وهذا فى وصف جنات أصحاب اليمين ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن فى الجنة خلقا آخر فى غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة (فجعلناهن أبكارا) روى أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا (عربا) جمع عروب وهى المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته وعبر عنهن ابن عباس بأنهن العواشق لأزواجهن وقيل هى الحسنة الكلام (أترابا لأصحاب اليمين) أى مستويات فى السن مع أزواجهن ، وروى أنهن يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين عاما ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله أنشأناهن على ماقاله الزمخشرى ويحتمل أن يتعلق بأترابا ، وهذا هو الذى يقتضيه المعنى أى أترابا لأزواجهن (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرقتان من أمتى وفى ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل فى الآخرين وذلك لأن السابقين فى أول هذه الأمة أكثر منهم فى آخرها لفضيلة السلف الصالح وأما أصحاب اليمين فكثير فى أولها وآخرها (فى سموم وحميم وظل من يحموم) السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار جدا واليحموم هو الأسود وظل من يحموم هو الدخان فى قول الجمهور ، وقيل سرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم وقيل هو جبل فى جهنم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) معنى يصرون يدومون من غير إقلاع والحنث هو الإثم ، وقيل هو الشرك ، وقيل هو الحنث فى اليمين أو اليمين الغموس (أئذا متنا) الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت ، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين فى الرعد وآباؤنا فى الصافات (أيها الضالون) خطابا لكفار قريش وسائر الكفار (فشاربون عليه) الضمير للمأكول (فشاربون شرب الهيم) وزن الهيم فعل بضم الفاء ، وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم وهو الجمل الذى أصابه الهيام بضم الهاء وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم والأنثى هيماء ، وقيل جمع هائم وهائمة ، وقيل الهيم الرمال التى لا تروى من الماء وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء وقرئ شرب بضم الشين واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب وقرئ بالفتح وهو مصدر فإن قيل كيف عطف قوله فشاربون على شاربون ومعناهما واحد ، فالجواب أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضى الشرب مطلقا والآخر يقتضى الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم (هذا نزلهم) النزل أول ما يأكله الضيف فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى وإما بالبعث لأن

تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ
أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ
تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً

الخلقة الأولى دليل عليه (أفرأيتم ما تمنون) هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث وتتضمن أيضا وعيد وتعديد نعم ومعنى تمنون تقذفون المنى فى رحم المرأة (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) هذا توقيف يقتضى أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو (نحن قدرنا بينكم الموت) أى جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) المسبوق على الشىء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم، وقيل نمسخكم قردة وخنازير وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم فى خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم ففيها تهديد واحتجاج على البعث (فلولا تذكرون) تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وفى هذا دليل على صحة القياس (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله يعجب الزراع (لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) الحطام اليابس المفتت وقيل معناه تبنا بلا قمح فظلتم تفكهون أى تطرحون الفاكهة وهى المسرة يقال رجل فكه إذا كان مسرورا منبسط النفس ويقال تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتى لزوال الشىء كقولهم تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم فالمعنى صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما وقد عبر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون وقيل تندمون وقيل تعجبون وهذه معان متقاربة والأصل ما ذكرنا (إنا لمغرمون بل نحن محرومون) تقديره تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب ويحتمل أن يكون من الغرم أى مثقلون بما غرمنا من النفقة على الزرع والمحروم الذى حرمه الله الخير (من المزن) هى السحاب، والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل لم ثبتت اللام فى قوله لو نشاء لجعلناه حطاما وسقطت فى قوله لو نشاء جعلناه أجاجا؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين والآخر أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل (النار التى تورون) أى تقدحونها من الزناد والزناد قد يكون من حجرين ومن حجر وحديدة ومن شجر وهو المرخ والعفار ولما كانت عادة العرب فى زنادهم من شجر. قال الله تعالى (أأنتم أنشأتم شجرتها) أى الشجرة التى تزند

وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ

النار منها وقيل أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أوجنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا بعيد (نحن جعلناها تذكرة) أى تذكر بنار جهنم (ومتاعا للمقوين) المتاع مايتمتع به ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهى الفيافى ومعنى المقوين الذين دخلوا فى القواء ولذلك عبر ابن عباس عنه بالمسافرين ويحتمل أن يكون من قولهم أقوى المنزل إذا خلا فمعناه الذين خلت بطونهم أوموائدهم من الطعام ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين (فلا أقسم بمواقع النجوم) لافى هذا الموضع وأمثاله زائدة وكأنها زيدت لتأكيد القسم أولاستفتاح الكلام نحو ألا وقيل هى نافية لكلام الكفار كأنه يقول لاصحة لما يقول الكفار وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة لا كثيرة معروفة فى كلام العرب ومواقع النجوم فيه قولان أحدهما قال ابن عباس إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبى صلى الله عليه وسلم مقطعا بطول عشرين سنة فكل قطعة منه نجم والآخر قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها، وقيل مواضعها من السماء وقيل انكدارها يوم القيامة (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض فى اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم وجواب القسم إنه لقرآن كريم وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه أو لأنه مذكور على قول من قال إن مواقع النجوم نزول القرآن (فى كتاب مكنون) أى مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التى كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التى بأيدى الملائكة عليهم السلام (لا يمسه إلا المطهرون) الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله إلا أن هذا ضعيف لوجهين أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز والآخر أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الملائكة، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم؛ وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التى بأيدى الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين، لأنهم مطهرون من الكفر أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهى الجنابة أو الحيض، فالطهارة على هذا الاغتسال أو المطهرين من الحدث الأصغر، فالطهارة على هذا الوضوء ويحتمل أن يكون قوله لا يمسه خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا وقال لو كان نهيا لكان بفتح السين وقال المحققون إن النهى يصح مع ضم السين لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبرا بمعنى النهى وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغى أن يمسه إلا المطهرون أى هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات فى الآية، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن لا يمسه كافر لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين، فذلك ظاهر وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال: الأول أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض ولا المحدث حدثا أصغر وهو

أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَأَمَّآ إِن

قول مالك وأصحابه ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وقد احتج مالك فى الموطأ بالآية على المسألة ومن حجتهم أيضا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر ، الثانى أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية وحملوا المطهرون على أنهم المسلمون والملائكة أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار ، والقول الثالث أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر ورخص مالك فى مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان لأجل المشقة . واختلفوا فى قراءة الجنب للقرآن فمنعه الشافعى وأبو حنيفة مطلقا وأجازه الظاهرية مطلقا ، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة . واختلف فى قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب فعن مالك فى ذلك روايتان ، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) هذا خطاب للكفار ، والحديث المشار إليه هو القرآن ، ومدهنون معناه متهاونون وأصله من المداهنة وهى لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن قال ابن عباس معناه مكذبون (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين فى المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا ، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف شكر لدلالة المعنى عليه وقرأ على ابن أبى طالب وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة وقراءة على بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب أى يكذبون فى قولهم نزل المطر بنوء كذا ومن هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول أصبح من عبادى مؤمن بى كافر بالكوكب وكافر بى مؤمن بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب . والمنهى عنه فى هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا فى المطر وأما مراعاة العوائد التى أجراها الله تعالى فلا بأس به لقوله صلى الله عليه وسلم إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة ، وقد قال عمر للعباس وهما فى الاستسقاء كم بقى من نوء الثريا فقال العباس العلماء يقولون إنها تعترض فى الأفق بعد سقوطها سبعا ، قال ابن الطيب فما مضت سبع حتى مطروا ، وقيل إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبى صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقولون إن آمنا به حرمنا الله الرزق ، كقولهم إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا فأنكر الله عليهم ذلك وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون على حذف مضاف تقديره تجعلون سبب رزقكم التكذيب ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله تقديره تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون ، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير (فلولا إذا بلغت الحلقوم) لولا هنا عرض والضمير فى بلغت للنفس لأن سياق الكلام يقتضى ذلك وبلوغها للحلقوم حين الموت والفعل الذى دخلت عليه لولا هو قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس حين الموت ، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم لأنهم اذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده ، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون (وأنتم حينئذ تنظرون) هذا خطاب لمن يحضر الميت من

كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝

أقاربه وغيرهم ، يعنى تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء (ونحن أقرب إليه منكم) يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة (ولكن لا تبصرون) إن أراد بقوله نحن أقرب الملائكة فقوله لا تبصرون من رؤية العين ، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام والفعل الذى دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله ترجعونها أى هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين فى كفركم وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين (فأما إن كان من المقربين) الضمير فى كان للمتوفى وكرر هنا ماذكره فى أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورن هناك (فروح وريحان) الروح الاستراحة وقيل الرحمة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة وقيل الخلود أى بقاء الروح وأما الريحان فقيل إنه الرزق وقيل الاستراحة وقيل الطيب وقيل الريحان المعروف وفى قوله روح وريحان ضرب من ضروب التجنيس (فسلام لك من أصحاب اليمين) معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية والخطاب فى ذلك يحتمل أن يكون للنبى صلى الله عليه وسلم أو لأحد من أصحاب اليمين فان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالسلام بمعنى السلامة والمعنى سلام لك يامحمد منهم أى لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية والمعنى سلام لك أى تحية لك ياصاحب اليمين من إخوانك وهم أصحاب اليمين أى يسلمون عليك فهو كقوله إلا قيلا سلاما سلاما أو يكون بمعنى السلامة والتقدير سلامة لك ياصاحب اليمين ثم يكون قوله من أصحاب اليمين خبرا بتداء مضمر تقديره أنت من أصحاب اليمين (وأما إن كان من المكذبين الضالين) يعنى الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة (فنزل من حميم) النزل أول شيء يقدم للضيف (إن هذا لهو حق اليقين) الإشارة إلى ماتضمنته هذه السورة من أحوال الخلق فى الآخرة وحق اليقين معناه الثابت من اليقين ، وقيل إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقوله مسجد الجامع واختار ابن عطية أن يكون كقولك فى أمر توكده هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب (فسبح باسم ربك العظيم) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول فى السجود سبحان ربى الأعلى وفى الركوع سبحان ربى العظيم وأوجبه الظاهرية ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه والاسم هنا جنس الأسماء والتعظيم صفة للرب أو يكون الاسم هنا واحدا والعظيم صفة له وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها وفى أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته ، قال ابن عباس اسم الله العظيم الأعظم موجود

سورة الحديد

مدنية وآياتها ٢٩ نزلت بعد الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور * آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين * هو الذي ينزل

في ست آيات من أول سورة الحديد ، وروى أن الدعاء عند قراءتها مستجاب

سورة الحديد

(سبح لله ما في السموات والأرض) هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبحات يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته والأول أرجح لقوله : ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي ، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع ، وكل واحد منهما يقتضي الدوام (هو الأول والآخر) أي ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية (والظاهر والباطن) أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وقيل الظاهر العالي على كل شيء فهو من قولك ظهرت على الشيء إذا علوت عليه ، والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه ، والأول أظهر وأرجح ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها وفي ذلك مطابقة لفظية ، وهي من أحسن أدوات البيان (ثم استوى على العرش) قد ذكرو كذلك ما بعده (وهو معكم أينما كنتم) يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته . وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك (يولج الليل) ذكر في الحج ولقمان (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته ، وروى أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك وعلى هذا روى أن قوله «فالذين آمنوا منكم وأنفقوا» نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فإنه جهز جيش العسرة يومئذ ولفظ الآية مع ذلك عام وحكمها باق ، لجميع الناس وقوله مستخلفين فيه يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم ، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا (وما لكم لا تؤمنون بالله) معناه أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة

عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ

والمعجزات الظاهرة فقوله مالكم استفهام يراد به الإنكار ولا تؤمنون فى موضع الحال من معنى الفعل الذى يقتضيه مالكم والواو فى قوله والرسول يدعوكم واو الحال (وقد أخذ ميثاقكم) يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل فى العقول من النظر الذى يؤدى إلى الإيمان ، أو يكون الميثاق الذى أخذه على بنى آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (هو الذى ينزل على عبده آيات) يعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والعبودية هنا للتشريف والاختصاص والآيات هنا القرآن (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) الآية: معناه أى شىء يمنعكم من الإنفاق فى سبيل الله ولله يرث ما فى السموات والأرض إذا فنى أهلها ففى ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد فى الدنيا (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الفتح هنا فتح مكة ، وقيل صلح الحديبية ، والأول أظهر وأشهر ، ومعنى الآية التفاوت فى الأجر والدرجات بين من أنفق فى سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الانفاق والقتال كانت أشد ويؤخذ من الآية أن من أنفق فى شدة أعظم أجرا ممن أنفق فى حال الرخاء وفى الآية حذف دل عليه الكلام تقديره لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم حذف ذلك لدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، يعنى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ، ويدخل فى الخطاب كل من يأتى إلى يوم القيامة (وكلا وعد الله الحسنى) أى كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ذكر فى البقرة (يوم ترى) العامل فى الظرف أجر كريم أو تقديره اذكر (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) قيل إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضىء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله فى أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم ، وروى أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضىء ما قرب من قدميه ، ومنهم من يضىء مرة ويهم بالإطفاء مرة ، قال ابن عطية ومن هذه الآية أخذ الناس مشى المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات (بشراكم اليوم جنات) أى يقال لهم ذلك (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) يوم بدل من يوم ترى

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف تقديره اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أى نأخذ منه ونستضىء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك ويحتمل أن يكون من النظر أى انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بإلى وقرئ أنظرونا بهمزة قطع ومعناه أخرونا أى أمهلونا فى مشيكم حتى نلحقكم (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا وقيل إنه لا موضع له من الإعراب وأنه كما لو قال ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور (فضرب بينهم بسور له باب) أى ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم وفى ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه وقيل إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار وقيل هو الجدار الشرقى من بيت المقدس وهذا بعيد (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين وهى خارجة كقوله ظاهر المدينة أى خارجها والضمير فى باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب والأول أظهر (ينادونهم ألم نكن معكم) أى ينادى المنافقين المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم فى الدنيا يريدون إظهارهم الإيمان (فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق (وتربصتم) أى أبطأتم بإيمانكم وقيل تربصتم الدوائر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين (وارتبتم) أى شككتم فى الإيمان (وغرتكم الأمانى) أى طول الأمل والتمنى ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أو يرجعون إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة (حتى جاء أمر الله) أى الفتح وظهور الإسلام أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب (الغرور) هو الشيطان (هى مولاكم) أى هى أولى بكم وحقيقة المولى الولى الناصر فكأن هذا استعارة منه أى لا ولىّ لكم تأوون إليه إلا النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) معنى ألم يأن: ألم يحن. يقال أنى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ وهذه آية موعظة وتذكير قال ابن عباس عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ هذه الآية فقال قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله وحكى أن عبد الله بن المبارك أخذ العود فى صباه ليضربه فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى

قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

الله (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف ولا يكونوا على أن تخشع ويحتمل أن يكون نهيا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة وهم اليهود والنصارى (فطال عليهم الأمد) أى مدة الحياة وقيل انتظار القيامة ، وقيل انتظار الفتح والأول أظهر (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها) أى يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات ، وقيل إنه تمثيل للقلوب أى يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر ، وفى هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم ، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة (إن المصدقين والمصدقات) بتشديد الصاد من الصدقة وأصله المتصدقين ، وكذلك قرأ أبىّ بن كعب وقرئ بالتخفيف من التصديق أى صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام ، (وأقرضوا الله) معطوف على المعنى ، كأنه قال إن الذين تصدقوا وأقرضوا ، وقد ذكرنا معنى أقرضوا فى قوله من ذا الذى يقرض الله (الصديقون) مبالغة من الصدق أو من التصديق ، وكونه من الصدق أرجح لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثى فى الأكثر ، وقد حكى بناؤها من رباعى كقولهم رجل مسيك من أمسك (والشهداء عند ربهم) يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره مابعده ، أو يكون معطوفا على الصديقين ، فإن كان مبتدأ ففى المعنى قولان : أحدهما أنه جمع شهيد فى سبيل الله فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والآخر أنه جمع شاهد ، ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم يشهدون على قومهم ، وإن كان معطوفا ففى المعنى قولان ، أحدهما : أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء : أى جمعوا الوصفين ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مؤمنو أمتى شهداء وتلا هذه الآية ، والآخر أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله لتكونوا شهداء على الناس (لهم أجرهم ونورهم) هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدأ أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا ، ونورهم هو النور الذى يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر فى هذه السورة ، وقيل هو عبارة عن الهدى والإيمان ، (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذى ينبته الغيث فى سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله كفرت الحب اذا سترته تحت الأرض وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة ، فلا يعجبهم إلا ماهو حقيق أن يعجب ، وقيل أراد الكفار بالله وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا وأكثر حرصا عليها (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سابقوا إلى الأعمال التى تستحقون بها المغفرة ، فقيل المعنى كونوا

عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

فى أول صف من القتال ، وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد ، وأول خارج منه وهذه أمثلة ، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدل بها قوم على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله فى آل عمران ، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن تكون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة فى العرف وهو ما يصيب من الشر وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفى الأرض يعنى القحوط والزلازل وغير ذلك وفى أنفسكم يعنى الموت ، والمرض ، والفقر ، وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض ، وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح فى كلها (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلوا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا ، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا أى فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أى بما أعطاكم الله من الدنيا ، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أى بما جاءكم من الدنيا فإن قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما أتى بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا ، فالجواب : أن النهى عن الفرح إنما هو عن الذى يقود إلى الكبر والطغيان ، وعن الحزن الذى يخرج عن الصبر والتسليم (كل مختال فخور) المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر تقديره هم الذين أو منصوب بإضمار أعنى أو مبتدأ وخبره محذوف (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) الكتاب هنا جنس الكتب والميزان العدل وقيل الميزان الذى يوزن به وروى أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال وقيل بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة (فيه بأس شديد) يعنى أنه يعمل منه سلاح للقتال ولذلك قال

وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝

وليعلم الله من ينصره ورسله والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) أي من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم (وقفينا) ذكر في البقرة (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض كما وصف أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنهم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا ومعنى ابتدعوها أي أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة أي جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية وابتدعوها صفة للرهبانية والجعل هنا بمعنى الخلق والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره ابتدعوها لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله فأعربوها على مذهبهم وكذلك أعربها أبو علي الفارسي وذكر الزمخشري الوجهين (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا وفي هذا قولان: أحدهما أن الاستثناء منقطع والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله والآخر أن الاستثناء متصل والمعنى كتبناها عليهم إبتغاء رضوان الله والأول أرجح لقوله «ابتدعوها» ولقراءة عبد الله بن مسعود ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها (فما رعوها حق رعايتها) أي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها يعني أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم والضمير في رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم، لأن من دخل في شيء من النوافل يجب عليه إتمامه وقيل الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم (وآمنوا برسوله) إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي فالجواب من وجهين: أحدهما أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه، والآخر أنه خطاب لأهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويؤيد هذا قوله يؤتكم كفلين من رحمته أي نصيبين، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي الحديث (ويجعل لكم نورا تمشون به) يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة أو يكون عبارة عن الهدى ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني قوله: وجعلنا له نورا يمشي به في الناس (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله) لا في قوله لئلا زائدة، والمعنى ليعلم أهل الكتاب وكذلك قرأها ابن عباس

سـورة المجادلة

مدنية وآياتها ٢٢ نزلت بعد المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

وقرأ ابن مسعود لكيلا يعلم ، والمعنى إن كان الخطاب لأهل الكتاب ياأهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذى وعد من آمن منكم ، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، لأنهم لم يسلموا ، فلم ينالوا شيئا من ذلك ، وإن كان الخطاب للمسلمين ، فالمعنى : ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة ، وقد روى فى سبب نزول الآية : أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية فى الرد عليهم ، وهو يقوى هذا القول ، وروى أيضا أن سببها أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم فى ذلك

سـورة المجادلة

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت الآية فى خولة بنت حكيم ، وقيل خولة بنت ثعلبة ، وقيل خولة بنت خويلد ، وقيل اسمها جميلة وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصارى أخى عبادة بن الصامت فظاهر منها وكان الظهار فى الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا أكل شبابى ونشرت له بطنى فلما كبرت ومات أهلى ظاهر منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيتك إلا قد حرمت عليه ، فقالت يارسول الله لا تفعل إنى وحيدة ليس لى أهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمثل مقالته فراجعته ، فهذا هو جدالها (وتشتكى إلى الله) كانت تقول اللهم إنى أشكو إليك حالى وانفرادى وفقرى ، وروى أنها كانت تقول اللهم إن لى منه صبية صغارا إن ضممتهم إلىّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا (والله يسمع تحاوركما) المحاورة هى المراجعة فى الكلام قالت عائشة رضى الله عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى على وسمع الله كلامها ، ونزل القرآن فى ذلك فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى زوجها وقال له أتعتق رقبة ، فقال والله ما أملكها فقال أتصوم شهرين متتابعين ، فقال والله ما أقدر ، فقال له أتطعم ستين مسكينا ، فقال لا أجد إلا أن يعينى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونة وصلاة يريد الدعاء فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا وقيل بثلاثين صاعا ودعا له فكفر بالإطعام وأمسك زوجته (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) قرئ يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار ، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمى ويجرى مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمصاهرة سواء ذكر لفظ الظهر

لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۞ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن

أولم يذكره كقوله أنت على كأمي أو كبطن أمي أو يدها أو رجلها خلافا للشافعي فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية وقاس مالك عليها لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام (ما هن أمهاتهم) رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أما باطل فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة والزور هو الكذب وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يصير امرأته كأمه وهي لا تصير كذلك أبدا والظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء أحدها قوله تعالى ما هن أمهاتهم فإن ذلك تكذيب للمظاهر والثاني أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله وإن الله لعفو غفور فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف الناس في معنى قوله ثم يعودون لما قالوا على ستة أقوال الأول أنه إيقاع الظهار في الإسلام فالمعنى أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عود إليه هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا. الثاني أن العود هو وطأ الزوجة روى ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت الثالث أن العود هو العزم على الوطئ وروى هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت. الرابع أن العود هو العزم على الوطئ وعلى إمساك الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك. الخامس أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة. السادس أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مرة وإنما يوجب في الثانية وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية فما مصدرية والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال فما بمعنى الذي والمعنى يعودون الوطء الذي حرموه أو للعزم عليه أو الإمساك الذي تركوه أو للعزم عليه (فتحرير رقبة) جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني فالأول تحرير رقبة والثاني صيام شهرين متتابعين والثالث إطعام ستين مسكينا فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع فإن أفسد الصائم التتابع باختياره ابتدأه من أوله باتفاق وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك يبني على ما كان فيه وقال أبو حنيفة يبتدئ، وروى القولان عن الشافعي، وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام واختلف في مد هشام فقيل إنه مدان غير ثلث بمد النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه مد وثلث، وقيل إنه مدان وقال الشافعي وابن القصار يطعم مدا بمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل مسكين ولا يجزيه إلا كمال عدد الستين فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة وكذلك إن أطعم

قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا بِالْإِثْمِ

ثلاثين مرتين والطعام يكون من غالب قوت البلد (من قبل أن يتماسا) مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء ومادونه من اللمس والتقبيل فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن والثورى أراد الوطء خاصة فأباحا مادونه قبل الكفارة وذكر الله قوله من قبل أن يتماسا فى التحريم والصوم ولم يذكره فى الإطعام فاختلف العلماء فى ذلك فحمل مالك الإطعام على ماقبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس وجعل ذلك من المطلق الذى يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص فى الإطعام أنه قبل المسيس (ذلك لتؤمنوا) قال ابن عطية الإشارة إلى الرخصة فى النقل من التحرير إلى الصوم وقال الزمخشرى المعنى ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم (إن الذين يحادون الله) أى يخالفون ويعادون (كبتوا) أى هلكوا وقيل لعنوا وقيل كبت الرجل اذا بقى خزيانا ونزلت الآية فى المنافقين واليهود (ما يكون من نجوى ثلاثة) يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفى فيكون ثلاثة ضاف إليه بمعنى الجماعة من الناس فيكون ثلاثة بدل أو صفة، والأول أحسن (إلا هو رابعهم) يعنى بعلمه وإحاطته وكذلك سادسهم، وهو معهم أينما كانوا (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزل فى قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فعادوا، وقيل نزلت فى المنافقين، والأول أرجح لقوله وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله لأن هذا من فعل اليهود والأحسن أن المراد والمنافقين معا لقوله: ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم فنزلت الآية فى الطائفتين (وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله) كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يا محمد بدلا من السلام عليكم والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهم وعليكم فسمعتهم عائشة يوما فقالت بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا ياعائشة إن الله يكره الفحش والتفحش فقالت أما سمعت ماقالوا قال أما سمعت ماقلت لهم إنى قلت وعليكم ويريد بقوله مالم يحيك به الله قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (ويقولون

وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ

فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون لو كان نبيا لعذبنا الله بإذايته فقال الله (حسبهم جهنم) أى يكفيهم ذلك عذابا (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) قيل يعنى النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه وقيل أراد نجوى اليهود والمنافقين ويؤيد هذا قوله ليجزى الذين آمنوا (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) اختلف فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى مقاعد الحرب والقتال وقيل نزلت بسبب ازدحام الناس ، فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصهم على القرب منه وقيل أقام النبى صلى الله عليه وسلم ، قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر فى مواضعهم ، فنزلت الآية ثم اختلفوا هل هى مقصورة على مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو هى عامة فى جميع المجالس ، فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإفراد ، وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وقد اختلف فى هذا النهى عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة (يفسح الله لكم) أى يوسع لكم فى جنته ورحمته (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف فى هذا النشوز المأمور به فقيل إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة ، وقيل إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه كان يحب الانفراد أحيانا وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام ، وقيل المراد القيام فى المجالس للتوسع (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فيها قولان أحدهما يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فقوله والذين أوتوا العلم درجات صفة للذين آمنوا كقوله جاءنى العاقل الكريم وأنت تريد رجلا واحداً ، والثانى يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء وعلى الثانى للمؤمنين الذين ليسوا علماء ، وللعلماء أيضا ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد فى موضع آخر كقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وقوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا وقوله عليه السلام يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء ، فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) قال ابن عباس سببها أن قوما من شبان

نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ

المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة ، لتظهر منزلتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا ، فنزلت الآيه مشددة فى أمر المناجاة ، وقيل سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها (أشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية : فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا ؟ فقال قوم لم يعمل بها أحد وقال قوم عمل بها علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه روى أنه كان له دينارا فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق فى كل مرة منها بدرهم وقيل تصدق فى كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (وتاب الله عليكم) التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم فى تركهم للصدقة التى أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى دوموا على هذه الأعمال التى هى قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم (ماهم منكم ولا منهم) يعنى أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ماقالوا ولا فعلوا وقد صدر ذلك منهم مراراً كثيرة هى مذكورة فى السير وغيرها (اتخذوا أيمانهم جنة) أصل الجنة مايستتر به ويتقى به المحذور كالترس ، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم ، وقرئ اتخذوا بكسر الهمزة (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب عليهم وتملك نفوسهم (فى الأذلين) أى فى جملة الأذلين : أى معهم (كتب الله) أى قضى وقدر (لا تجد قوما) الآية : معناها لا تجد مؤمنا يحب كافراً ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان ، ولذلك كان الصحابة رضى الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا